من بلاغة الفرائد الفذَّة في القرآن الكريم

د. السيد محمد سالم

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية

جامعة المدينة العالمية

*** ملخص البحث:**

قديما كثُر الكلام في وجوه إعجاز القرآن، بل أصبح من الواجب الشرعيّ، و"اجتهد المفسرون والمتكلمون، وبلغاء الأدباء المتأنقون، بدءا من القرون الأولى يصنفون التصانيف في مشكله، وغريبه، ومجازه، وبدأت تظهر الكتب والمؤلفات تَتْرى حول القرآن بعناوينها المختلفة، واهتماماتها المتعددة عبر تلك العصور؛ ولكن إن كان ذلك قد وفّى بحاجة الأزمنة التي صنعت فيها تلك الكتب، فهو لا يفي بحاجة هذا الزمان؛ إذ هي داعية إلى قول أجمع، وبيان أوسع، وبرهان أنصع في أسلوب أجذب للقلب، وأخلب للُّب، وأصغى للأسماع، وأدنى للإقناع"[1]، يتناسب مع عقول وأفهام هذا الزمان، وأدعى للإقبال بطريق أسهل، وعرض أيسر. ومن هذا المنطلق يأتي هذا البحث حلقة من الحلقات التي تكشف وتُثْبِت سر تفرد كلمات وألفاظ القرآن الكريم عامة والفرائد منها بصفة خاصة، والتي جاءت على نحو غير مسبوق ونُظِّمت بطريق غير مكرر بين طيّات آي القرآن الكريم. وليكون البحث محددا اقتصر فقط من هذه الفرائد على بعض فرائد الفعل الماضي، مستعينا في هذا بالمنهج التكاملي. وعليه جاءت الدراسة في ثلاثة مباحث وخاتمة مشفوعة بمصادر ومراجع البحث؛ فالأول منها: تعريف الفرائد لغةً واصطلاحًا، والثاني: الفرائد في التراث النقدي والبلاغي وفيه ثلاث نقاط، الأولى: الفرائد عند النقاد والبلاغيين، والثانية: الفرائد عند الدراسات التي تعرضت لبلاغة القرآن، والثالثة: الفرائد عند من أفرد لها أبوابا خاصة، والمبحث الثالث: بعض فرائد الفعل الماضي في القرآن. ولعلي بهذا أضيف التفاتة جديدة للدراسات القرآنية، وفاءً للقرآن، وإثراءً للغته.

---

1 – راجع: التقريظ الذي كتبه الشيخ محمد رشيد رضا في مقدمة كتاب إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي، بيروت: دار الكتاب العربي، ص17.(بتصرف)

مقدمة البحث:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وبعد:

فإن للأسلوب القرآني رونقًا وجمالًا لن تلمسه في غيره من الكتب السماوية السابقة، ولا حتى في نتاج فحول الأدباء والشعراء الذين اشتهروا بتملك زمام اللغة والتمكن والتصرف في أساليبها؛ لأن القرآن من أوله إلى آخره يبقى جاريًا على نظام ثابت من السموِّ في جمال اللفظ، ودقة الصياغة، وروعة التعبير، وعمق المعنى، رغم تنقله بين موضوعات مختلفة وقضايا متنوعة ومواقف متباينة من القصص والتشريعات والمواعظ والحجج، إضافةً إلى ذلك ما اتسمت به اللفظة القرآنية من "اتساقها الكامل مع المعنى، وجمال وقعها في السمع، واتساع دلالتها ومعانيها لما لا تتسع له – عادةً – دلالات الكلمات الآخرى من المعاني والكلمات"[1]. وتلك حقيقة لا مراء فيها ولا جدال حولها، حتى حار في نظمه –وإلى الآن– فحول علماء العربية والبيان.

ويكاد يُجمِعُ العلماء على أنه لم ينل كتاب في الدنيا دراسات فيه وحوله مثلما نال القرآن الكريم؛ بيد أنه رغم استبحار ووفرة الدراسات القرآنية، إلا أن القرآن لا يزال يستنهض الباحثين لمزيد من البحث في آفاقه الممتدة التي لا تتوقف عند نهاية: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾[2]؛

وهذا البحث يتوقف مع القرآن فيما يتعلق بالإعجاز البلاغي واللغوي، وسيسلط الضوء على بعض ألفاظ القرآن الكريم التي لم تتكرر في القرآن كله حتى إن جذرها لم يتكرر

(1) الكاتب، ابن وهب، (1967م)، البرهان في وجوه البيان، بغداد: دار المعاني، ت/ أحمد مطلوب، ص142. (بتصرف)

(2) سورة الكهف، آية رقم:(109).

في أي سياق آخر في القرآن كله؛ لِيُثْبِتَ سر تفردها، والتي سُمِّيت بـ(الفرائد).

- **منهج البحث:**

ومنهجي في هذا البحث هو المنهج التكاملي الذي يمزج بين المنهج التاريخي الذي يتتبع ظاهرة الفرائد في أصل نشأتها، وأول من أطلقها واستعملها مرورا بها عبر الأزمنة إلى ما استقرت عليه الآن، والمنهج التحليلي اللغوي والذي يفيد في تحليل الكلمات لغويا لإدراك المعنى، ثم المنهج الوصفي الذي يرصد خصائص الظاهرة وملامحها، ثم بيان هذا التفرد، وآثاره البلاغية، وقيمته الجمالية، وسره البياني الذي يعتبر عملا فنيا خالصا ينطوي تحت المنهج الفني.

*** مشكلة البحث:**

ولقد تمثلت مشكلات هذا البحث فيما يأتي:

1- ماهية الفرائد القرآنية التي وردت في القرآن الكريم بشكل عام وفرائد الفعل الماضي بشكل خاص.

2- مكانة الفرائد القرآنية عند النقاد والبلاغيين وأهميتها، وإلى أي مدى تمت دراستها من قِبَل العلماء حتى الآن.

3- كيفية دراسة هذه الفرائد القرآنية من منظور لغويّ بلاغيّ سياقيّ من أجل إثبات تفردها في سياقها وأسباب هذا التفرد، وإظهار إعجاز القرآن في تناوله لمثل هذه الكلمات.

- **أسئلة البحث:**

1- ما تعريف الفرائد لغة واصطلاحا؟

2- هل ورد ذكر للفرائد عند النقاد والبلاغيين والدراسات التي تناولت بلاغة القرآن؟

3- كيف تناول النقاد والبلاغيون الفرائد من خلال مؤلفاتهم، وهل هناك فرق بين ما ذكروه وبين ما جاء عند من تناولها حديثًا؟

4- كم عدد فرائد الفعل الماضي الواردة في القرآن الكريم؟

- **أهداف البحث:**

1- التعريف بالفرائد لغة واصطلاحًا.

2- الوقوف على ما إذا ورد ذكر لمصطلح الفرائد عند النقاد والبلاغيين، وكذلك عند الدراسات التي تعرضت لبلاغة القرآن الكريم.

3- معرفة الكيفية التي تناول بها النقاد والبلاغيون الفرائد، وكذا الدراسات التي تعرضت لبلاغة القرآن.

4- حصر الكلمات التي لم ترد في القرآن الكريم إلا مرة واحدة، ولم يشتق من جذرها سواها.

5- تقديم نموذج لتحليل شامل لبعض ألفاظ القرآن، ليكون نبراسًا ومعينًا لتحليل آخر يشمل بقية ألفاظه بطريقة أكثر عمقًا، وأحسن عرضًا، وأشمل نفعًا.

*** أهمية البحث:**

تكمن أهمية هذا الموضوع في جوانب مختلفة منها:

* إن مما يزيد على ربع هذه الألفاظ وتلك الكلمات لا تكاد تستخدم في كلام الناس وحتى في كتابات المثقفين، بل إن نسبة كبيرة منها هي ألفاظ غير مستخدمة، ومجهولة المعنى حتى لدى المتخصصين في اللغة، وتكمن أهمية الموضوع في أنه يساعد في التعريف بهذه الكلمات كخطوة أُولى نحو تعميم المعرفة بها وباستخدامها، وهي-فيما أرى- خطوة مهمة لتيسير فهم القرآن، ومعايشته بطريقة مغايرة لما هي عليه الآن.

* إن إظهار إعجاز القرآن كذلك مهم وضروري جدًّا للذين سقطوا ضحيةً للفكر الغربي الوافد من بني جلدتنا، الذين ردّوا ما جاء به القرآن من شرائع وحدود تحت دعاوى زائفة لا حصر لها، فما أن يلمسوا هذا الإعجاز يَعْظُم به يقينهم، ويقوى به إيمانهم، وبالتالي تصفو نفوسهم من تلك الشبهات، وترق أفئدتهم، ويعودوا إلى صوابهم.

* والفرائد باعتبارها تمثل ظاهرة واضحة في التعبير القرآني بحاجة إلى دراستها بشكل وافٍ في بحث مستقل؛ إذ لم تحظ من الدارسين قديما إلا ببعض التعريفات المتواترة مع بعض

الشواهد من القرآن والنثر والشعر، ولم يتطرق بحثهم فيها إلى وجودها كظاهرة في الأسلوب القرآني.

المبحث الأول: تعريف الفرائد لغةً واصطلاحًا

قبل الشروع في هذا البحث يحسن إلقاء الضوء على عنوانه حتى تتضح صورته، وربما يوصف هذا المبحث بصغر حجمه ولكن طبيعة البحث اقتضت ذلك.

فالفرائد في اللغة: جمع فريد وفريدة، والفريد هو: الفرد الذي لا نظير له، وهو أيضا، الدر إذا نظم وفصل بغيره، والفريدة: الشذر الذي يفصل بين اللؤلؤ والذهب في العقد، وهى أيضا: الجوهرة النفيسة، ويقال: استفرد الغواص هذه الدرة: أي لم يجد معها أخرى، وتقول: فلان يفصل كلامه تفصيل الفريد وهو الدر الذي يفصل بين الذهب في القلادة المفصلة، فالدر فيها فريد والذهب مفرَّد[1].

. ومن المعنى اللغوي للفرائد نستخلص أنها: الشيء النفيس الذي لا نظير له سواء أكان ماديا كالذهب والدر، أو معنويًّا كالكلام الفريد المفصل.

. وهذا المعنى اللغوي لا يبعد كثيرًا عن المعنى الاصطلاحي للفرائد كما وردت في كتب البلاغة والأدب والنقد[2].

ونلحظ تعريفها الاصطلاحي عند أول من أورد مصطلح الفرائد ابن أبي الإصبع المصري (585. 654هـ) في كتابه (تحرير التحبير) تحت عنوان (باب الفرائد) [3]، وذكر أن

(1) انظر مادة (فرد) في (لسان العرب لابن منظور) وأساس البلاغة للزمخشرى، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، والمعجم الوسيط .. مجمع اللغة العربية

(2) ورد الحديث عن الفرائد كمصطلح بلاغى في شرح الكافية البديعية . 245، وخزانة الأدب . 372، ومعترك الأقران – 407/1، والإتقان – 93/2، وشرح عقود الجمان . 150، وأنوار الربيع . 267/5، ونفحات الأزهار . 269، وتحرير التحبير . 576، والمزهر. 251/1، وانظر في ذلك: معجم النقد العربى القديم . د. أحمد مطلوب . 160/2 بغداد 1989 م.

(3) انظر: تحرير التحبير، ابن أبى الأصبع، تحقيق .د. حفنى شرف ص 576،578، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، 1983م.

هذا الباب مختص بالفصاحة وحدد المصطلح بأنه (إتيان المتكلم بلفظة تتنزل من كلامه منزلة الفريدة من حب العقد تدل على عظم فصاحته وقوة عارضته وشدة عربيته؛ حتى إن هذه اللفظة لو سقطت من الكلام لعز على الفصحاء غرامتها) أي خسرانها وفقدانها.. ثم استشهد على ذلك بفرائد من شعر أبي نواس وأبى تمام والبحتري، فمن ذلك قول أبي نواس:.

وكأن سُعْدى إذ تُـوَدِّعُنَا   وقد اشرَأَبَّ الدمعُ أنْ يَكِفاَ[1]

ويعلق ابن أبى الإصبع على ذلك بقوله: "إن لفظة اشرأب من الفرائد التي لا نظير لها في فصيح الكلام ولا يقع مثلها إلا على سبيل الندور".

. ثم استشهد من القرآن بآيات كثيرة مصدرا لذلك بأن ما جاء في الكتاب العزيز من ذلك غرائب يعز حصرها. ومما استشهد به لفظ (خائنة) من قوله تعالى: ﴿**يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور**﴾ (غافر: 19) معلقا عليها بقوله: (وهذه الفريدة في هذه الآية أعجب من كل ما تقدم؛ فإن لفظة (خائنة) سهلة مستعمله كثيرة الجريان على ألسن الناس لكن على انفرادها؛ فلما أضيفت إلى الأعين حصل لها من غرابة التركيب ما جعل لها في النفوس هذا الموقع العظيم بحيث لا يستطاع الإتيان بمثلها ولا يكاد يقع في شيء من فصيح الكلام شبهها، وقد استمر ابن أبى الأصبع على هذا النهج وهو يستشهد بقول الرسول–صلى الله عليه وسلم–:(إذا ذكر الصالحون فحيَّ هلا بعمر) فقد أشار إلى أن لفظة (حيَّ هلا)من الفرائد العجيبة وفيها من الفصاحة ما يعجز عن مثله كل فصيح.

ولا يخفى تأثر ابن أبي الإصْبَع هنا بنظرية النظم التي أرساها عبد القاهر الجرجاني الذى ينظر إلى الكلمة وحدها فلا يجد لها أى مزية ثم ينظر إليها وهي في النظم فيجدها قد

(4) ديوان أبي نواس (الحسن بن هانئ) تحقيق وشرح: أحمد عبد المجيد الغزالى ص 432، ط. دار الكتاب العربي. بيروت 1984. واشرأب الدمع: ارتفع من شؤنه ليسيل وينحدر علي الخد، يَكِفَ: مضارع وَكَفَ بمعني سال – وأصل اشرأب: مَدَّ عُنُقَهُ وارتفع كى ينظر. والمعنى أنه في لحظة الوداع ارتفع الدمع وسال علي الخد.. ولعل السر في تفرد الفعل (اشرأب) هنا يرجع إلي تشخيصه وبعث الحياة والحركة فيه وجعله يحس ويتمني –والمشبه به ورد في البيت الثانى هو:

رَشأٌ تَوَاصَيْنَ القِيَانُ بِهِ   حتي عَقَدْنَ بِأُذْنِهِ شَنَفا

اكتسبت من البلاغة والروعة حدا كبيرًا.. ولكن يؤخذ على ابن أبي الإصْبَع تعميم الكلام والاحتكام إلى الذوق الشخصي دون بيان الأسرار البلاغية التي أكسبت الكلمة تفردها وقيمتها.. وهذا ما حاولت فعله في هذا البحث.

...إذن الفرائد في القرآن تعنى تلك الكلمات التي اكتسبت صفة الفردية بدايةً لكونها كلمات قرآنية انتظمت في سلك النظم القرآني البديع وتعلقت بما قبلها وما بعدها تعلقًا قويًّا؛ بحيث لا يغني غيرها غناءها في موضعها وبحيث لو سقطت لعز على الفصحاء غرامتها كما يقول ابن أبي الأصبع ثم هي اكتسبت ثانيًا صفةً أخرى أكثر تخصيصًا وتقييدًا وهي كونها (فذة) أي متفردة لم ترد في القرآن إلا مرة واحدة ولم تتكرر في أي سياق آخر رغم تشابه السياقات أحيانًا.

المبحث الثاني: الفرائد في التراث النقدي والبلاغي

في هذا المبحث سنتتبع الفرائد تاريخيًّا من خلال النقاد والبلاغيين الذين تناولوها في كتبهم، وكذا الدراسات التي تعرضت لبلاغة القرآن، وأيضًا من تناولها بمعناها ومدلولها المعروف الآن وسط البلاغيين، علنا نصل من خلال هذا كله إلي ماهية الفرائد عندهم، وكيفية تناولهم لها، وما الفرق بين ما طرحوه وما يطرحه البحث الآن في هذه الدراسة، وهل سنقدم رؤية جديدة من خلال هذا التناول -تختلف أو تتشابه مع رؤيتهم- الذي أحسب أنه سيحيط بها من خلال بنيتها وطريقة تركيبها، وعلاقتها بما قبلها وما بعدها من كلمات، ثم من خلال سياقها، وما تفيضه على الجملة من ظلال نفسية أو صوتية أو بيانية، ثم أخيرًا إظهار إعجازها البلاغي. ويبقى أمر يجب التنبيه عليه، وهو أننا سنتناول الناقد أو البلاغيَّ من خلال أشهر وأكبر كتاب له؛ نحسب أنه جمع فيه خلاصة خبرته، وجُلَّ آرائه، زُبدة رصيده، وعصارة عقله في مجال النقد والبلاغة، ولا أعتقد أنه بسط كلامًا جديدًا في تضاعيف كُتَيْبَاتِهِ الأُخَر، وبالتالي لا يفوتنا شيء مما له علاقة بموضوعنا في هذا الكتاب أو ذاك، ولو كان هناك شيء من هذا لكان هو أحرص وأسرع الناس على إظهاره، ونشره؛

حتى يُكتب له فضل السبق فيه، ولعلمنا اليقيني بشغفهم بالعلم ووَلَهِهِم بالمعرفة، وخاصة في موضوع كهذا أقصد —الفرائد— الذي هو جديد في بابه، فريد في مكانه.

أولًا: الفرائد عند النقاد و البلاغيين:

وقد استقرأ الباحث التراث النقدي والبلاغي للنقاد والبلاغيين التي كان منها على سبيل المثال:

1- **الجاحظ؛** أبوعثمان عمرو بن بحر(ت255): في كتابه "**البيان والتبيين**".

2- **ثعلب؛** أبو العباس أحمد بن يحيى الشيباني **(ت291هـ):** في كتابه "**قواعد الشعر**".

ومن خلال استقراء الباحث لكتبهم يمكننا ملاحظة ما يأتي:

أولًا: لم يتطرق واحد منهم بشكل واضح ومباشر كما هو الأمر الآن إلى الفرائد القرآنية التي لم ترد إلا مرة واحدة في القرآن، وجذرها لم يكرر، وهذا -بطبيعة الحال- لا يتعلق بالغريب، فالغريب له مكان آخر، ومجال دراسة مختلف عما يسمى بالفرائد، بل كان التعرض للقرآن من خلال نظرة كلية شاملة لكل ألفاظه دون التوقف عند جزئيات منه، والمتأمل في قراءة كتبهم يجد دائمًا فيما يخص ألفاظ القرآن -في حال التعرض لها- أوصافا ثابتة لا تتغير عند أي عالم منهم، وهي: الفصاحة والبلاغة والجزالة والغرابة والاقتدار، دون البحث والتعمق في مكامن اللفظة، وأسرار مجيئها على هذا النحو الذي سنحاول أن نطرقه في هذا**ثانيًا:** انصب جُلُّ اهتمام معظم النقاد على الشعر ونقده، وإظهار محاسنه وعيوبه، جيده ورديئه، ومقاييس القوة والضعف....وغيرها كثير من القضايا التي تتمحور حول الشعر، ولم يكن حظ القرآن فيها إلا النقل والاستشهاد، والتدليل على صحة ما يقولون من خلال الآيات التي تتناص مع الشاهد الشعري، وذلك يظهر حتى من خلال عناوين كتبهم، فضلا عن مباحثها.

ثالثا: كان تناولهم للقرآن، وإظهار إعجازه من خلال آيات المشاهد أو-إن شئت

فقل-آيات الصور الكلية التي تحتوي على أحداث مختلفة في مشهد واحد، وعرض مترابط، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾"(1)، تناقلها الجميع، ومن تعرض للإعجاز ذكرها وما شاكلها بالشرح والتحليل، وهكذا.

رابعا: حاول كثير منهم الانتصار للقرآن الكريم من خلال إثبات أنه يحتوي على كل علوم البلاغة من معان وبيان وبديع، فنا فنا، حتى وصل الأمر إلى حد لَيّ عُنق الآية، أو تحميلها ما لا تطيق من أجل إثبات وجهة نظره، وفكرته التي طرحها، وحُكمه الذي اتخذه، -والأمثلة على ذلك كثيرة في كتب البلاغة القديمة2- وربما الأمر لا يتطلب ذلك التعسف، وتلك الشدة في التعامل مع آيات القرآن، ومع هذا! تُحمد له نيته الحسنة، ودفاعه عن القرآن، وحرصه على أنه ما فرَّط في شيء.

خامسا: قرأت غيرَ مرةٍ عند عدد غير قليل منهم في مقدمات كتبهم أسباب تأليفها، وكان منها إظهار وإثبات إعجاز القرآن في بلاغته وفصاحته، وبعد رحلة في تقليب صفحات الكتاب، ومرافقة ما خطه بيمينه، ينسحب البساط -دون أن يشعر- من تحت قدميه، مخالفًا ما قد قطعه على نفسه في المقدمة من معالجة قضية الإعجاز؛ فينشرح صدرك، ويسيل لعابك، لما ستقتنصه من صيد سمين، سيُشبع نَهَمَك، ويَشفي غُلَّتك، وشيئا فشيئا تجد الأمر على غير المتوقع، من تناول قضايا أخرى-لا أقلل من شأنها-، وتأتي الرياح بما لم تشتهِ السفن.

وهكذا لم نجد عند النقاد والبلاغيين القدامى كلاما صريحا مباشرا عن الفرائد القرآنية، اللهم إلَّا في القليل النادر دون إفراد باب خاص بها، بل جاءت في ثنايا الكلام، ولم تكن هي المقصودة.

---

(1) سورة هود، آية رقم:(44).

(2) راجع تعليق البلاغيين القدماء عند تناولهم الآية الرابعة والأربعين من سورة هود.

ثانيًا: الفرائد في الدراسات التي تعرضت لبلاغة القرآن

لقد اطَّلع الباحث على الكتب التي تعرضت لبلاغة القرآن، ومنها على سبيل المثال وليس الحصر:

مجاز القرآن (لأبي عبيدة مَعْمَر بن المثني)، معاني القرآن (للفرَّاء)، وغيرها من الكتب التي تخص بلاغة القرآن.

ومن خلال الوقوف عند هذه الكتب لم يجد الباحث فيها حديثًا خاصًّا أو منفردًا عن الفرائد كما يتم تناوله في هذا البحث، ولعل الله –مستقبلًا- يوفق ويقيض من الباحثين الجادين في بلاغة القرآن من يردُّ هذا الكلام بكلام آخر؛ لنصل أخيرًا إلى الحقيقة، فالمعترض له مطلق الحق في الاعتراض بعد التدليل والاستشهاد، وساعتها ليس علينا إلا خفض جناح الإقرار والتأييد، فالأصل الانتصار للعلم وليس لشيء آخر.

ثالثا: الفرائد عند من أفرد لها أبوابًا خاصة:

وقبل أن يشرع الباحث في تناول من تحدث عن الفرائد وخصها بالذكر في هذا المبحث، تجدر الإشارة إلى أن الباحث قد حدَّد ونصَّ على أسماء البلاغيين القدامى الذين تناولهم بالدراسة، وكذا الكتب التي تم الاطلاع عليها والتي تخص بلاغة القرآن، ولم يعمم الأمر على الجميع، والمدقق -فيما سبق- سيجد أن أسماء الذين وردوا في هذا المبحث لم يُنَص عليه في المبحث السابق.

1- تحرير التحبير لابن أبي الأصبع: "لقد تحدث ابن أبي الأصبع (585- 654هـ) في كتابه "تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر" في الجزء الرابع عن "الفرائد، وهو أول من تحدث عنها وذكرها، ثم استشهد على ذلك بفرائد من شعر أبي نواس وأبي تمام والبحتري فمن ذلك قول أبي نواس:

وكأن سُعْدى إذ تُوَدِّعُنَا وقد اشرَأَبَّ الدمعُ أنْ يَكِفا[(1)]

(1) لتفسير ذلك انظر:هامش رقم(1)، ص12 من هذا البحث

ويقول ابن أبي الأصبع معلقًا: "إن لفظة اشرأب من الفرائد التي لا نظير لها في فصيح الكلام، ولا يقع مثلها إلا على سبيل الندور"[1]. ثم استشهد من القرآن بآيات ليدلل على كلامه، ومن خلال كلام ابن أبي الأصبع، نتبين أن ابن أبي الأصبع لم يتحدث كما قصدنا ها هنا في هذا البحث.

2- شرح الكافية البديعية (لصفي الدين الحلي): لقد أثبت صفي الدين الحلى (67-750هـ) بابًا للفرائد في شرح الكافية البديعية[2]... معرفًا بها وممثلًا لها بشواهد من القرآن الكريم ومن الشعر قائلًا: "وهو نوع مختص بالفصاحة دون البلاغة لأن مفهومه الإتيان بلفظة فصيحة من كلام العرب العرباء تتنزل من الكلام منزلة الفريدة من العقد، تدل على فصاحة المتكلم وقوة عارضته، حتى إن تلك الكلمة لوسقطت من الكلام لم يسد غيرها مسدها، كقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾[3] فقوله تعالى "الرفث" فريدة لا يقوم غيرها مقامها، وبالتالي فهذا مختلف عما نحن بصدده في هذا البحث.

3- خزانة الأدب وغاية الأرب (للحموي): لقد ذكر أبو بكر علي بن عبدالله (767هـ-837هـ)الفرائد في كتابه قائلا: "الفرائد نوع لطيف مختص بالفصاحة دون البلاغة"[4]، وذكر أمثلة أخرى من الشعر، وهو قد ذكر مصطلح الفرائد، ولكن تناوله لها مختلف عما نحن بصدده، بالإضافة أنه لم يحصها عددًا.

4- شرح عقود الجمان (للسيوطي): وفى حديث السيوطي (ت 911هـ) عن

---

(1) ابن أبي الأصبع، تحرير التحبير، ص221. وانظر:إبراهيم، كمال عبد العزيز،(2006 م).بلاغة الفرائد الفذَّة في القرآن الكريم(المضارع نموذجا)، الدار الثقافية للطباعة والنشر، ص3، 2، ط1، القاهرة.

(2) الحِلِّي، صف الدين،(1983)م.شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، ت.د/نسيب نشاوي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ص245، ط1، دمشق.

(3) سورة البقرة، آية رقم:(187).

(4) الحموي، أبو بكر علي بن عبدالله، خزانة الأدب وغاية الأرب، دار ومكتبة الهلال، ت/عصام شعيتو، ص297، ط1، بيروت، 1987م.

الفرائد في كتابه (شرح عقود الجمان) نلاحظ أنه نسبها إلى نفسه ولم يشر إلى ابن أبي الإصبع أو إلى صفي الدين الحِلِّي وزعم أن (الفرائد والتنكيت) من زياداته، قائلًا : "وهذان النوعان من زياداتى وهما تختصان بالفصاحة دون البلاغة، فالفرائد أن يأتي بلفظة فصيحة تنزل من الكلام منزلة الفريدة من العقد، وتدل على فصاحة المتكلم بها)[1]، وساق الأمثلة نفسها التي ذكرها المتقدمون عليه، ومما هو جدير بالذكر: أن السيوطي تكلم عن الفرائد في كتابين آخرين له، الأول هو: المزهر في علوم اللغة وأنواعها[2]، والثاني هو: معترك الأقران في إعجاز القرآن[3] ولكن لم يشأ الباحث أن يفرد لهما صفحات في هذا البحث؛ لأن كلامه عنها مكرور، وهو نفسه الذي قاله في هذا الكتاب مع زيادات طفيفة، وعليه فلم يتعرض له بمثل ما يتعرض لها هذا البحث.

5- أنوار الربيع في أنواع البديع (للمدني): لقد ذكر علي صدر الدين بن معصوم الدين المدني (ت1120هـ) مصطلح الفرائد في كتابه مرددًا كلام من سبقه من العلماء قائلًا: "هذا النوع يختص بالفصاحة دون البلاغة...، تتنزل منزلة الفريدة من القصيدة،... كقوله تعالى : "الآن حصحص الحق "مكانها"[4]، ونلاحظ أنه استشهد بآيتين من القرآن فقط – وقد نقلها عن السابقين- وأكثر من الاستشهاد بالشعر، ولم يزد على هذا، وعليه فقد اختلفت الدراستان.

6- كتاب نفحات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبي المختار (بفن البديع)[5]: وهذا الكتاب أو هذه البديعية التي ألفها الشيخ (عبد الغني النابلسي) على غرار

(1) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، شرح عقود الجمان، دار الفكر، ص150.

(2) السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ت/محمد جاد المولى، 251/1، ط:الحلبي، مصر.(د.ت).

(3) السيوطي،(1988م)، معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، ج1، ص407، بيروت.

(4) المدني، صدر الدين بن معصوم،(1388هـ)، أنوار الربيع في أنواع البديع(مخطوط)، ت/شاكر هادي شكر، م:النعمان، النجف الأشرف، ص672، 673.ط1. العراق.الآية:51 من سورة يوسف.

(5) النابلسي، عبد الغني، (1299هـ)، نفحات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبي المختار بفن البديع، م:نهج الصواب، ص5، دمشق.

ما مُدح به النبي- صلى الله عليه وسلم- في بردة البوصيري، وما تبعها من قصائد -سميت بالبديعيات- معارِضةً لها، ومن هنا نلاحظ: أنه تحدث عن الفرائد، فوضع لها حدودًا، وأظن أنها لا تختلف كثيرًا عما قاله السابقون، ولكنه لم يتعرض لفرائد القرآن في بديعيته. وبالتالي لا تتفق مع ما نحن بصدده في هذه الدراسة.

7- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها (أحمد مطلوب): لقد تطرق الدكتور: أحمد مطلوب إلى الفرائد قائلا: "والفرائد من مبتدعات المصري، وهذا النوع مختص بالفصاحة دون البلاغة؛..."[1]، وساق الأمثلة نفسها التي ذكرها الأولون، وهذا الكلام نفسه الذي ردَّده في كتابه معجم النقد العربي القديم[2]، وبالتالي تناوله لها يختلف بدوره عما سنقدمه في هذه الدراسة.

8- مفاريد الألفاظ في القرآن الكريم (دراسة لغوية)، محمود عبد الله عبد المقصود يونس، (رسالة ماجستير) جامعة الأزهر، مصر. 1421 هـ/ 2000م.

في هذه الدراسة تناول الباحث المفاريد القرآنية من الناحية اللغوية البحتة أي من الناحية الصوتية والصرفية والدلالية والمعجمية، وكذا من جهة فقه اللغة في هذه المفاريد ثم تتبعها كلها واستقصاها في القرآن الكريم وأردف لها معجما خاصا في نهاية بحثه، وبهذا فالبحث فيه جزء متعلق بهذه الدراسة التي الباحث بصددها وهي معاني هذه الفرائد وما ورد عنها في المعاجم القديمة والحديثة، وعليه فإن هذه الدراسة تختلف عما سيقدمه هذا البحث فالدراسة اللغوية شق منها ولكن ستكون هي مرحلة أو درجة يصعد عليها ليصل إلى إعجاز هذه الفرائد البلاغي والبياني وسر تفردها إن وجد.

9- بلاغة الفرائد الفذة في القرآن الكريم (المضارع نموذجا) (د/كمال عبد العزيز

---

(6) السابق، ص103، نقلا عن كتاب تحريرالتحبير، ص576، وبديع القرآن، ص287.

(2) مطلوب، أحمد، (1989م)، معجم النقد العربي القديم، دار الشئون الثقافية العامة، ص160، 161، ط1، بغداد.

إبراهيم)[1]

وفي دراسته شرح الباحث أولًا عنوان بحثه وبالتالي شرح معنى الفرائد لغويًّا، ثم تتبعها تاريخيًّا عند من تعرض لها ممن سبقه، ثم أحصاها عددا، وجمعها من القرآن الكريم مثبتًا إياها في ملحق خاص في آخر الكتاب، ثم بيّن أسباب اقتصاره على المضارع في هذه الدراسة، وشرح منهجه فيها وطريقة تعرضه لها، وكيفية تحليله لها. ولكنه اقتصر على المضارع فقط، وهذا يختلف عما سيقدم هنا؛ حيث سيتناول هذا البحث بعضا من فرائد الفعل الماضي.

المبحث الثالث: بعض فرائد الفعل الماضي

إن مما تجدر الإشارة إليه قبل الدخول في التحليل أنه لم يأت البحث على جميع فرائد الفعل الماضي نظرا للتقيد بعدد الصفحات المسموح بها، وعليه اختار الباحث عددا منها للوقوف عليها.

1- (كُبْكِبُوا): ورد في قوله تعالى: ﴿ فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴾[2]. والآية في وصف طريقة وهيئة دخول الكافرين النار.

والكَبْكَبَةُ: "تدهور الشيء في هوّة"[3]. والفعل عبارة عن مقطعين، أو مقطع مكرر، اكتسب جرسه وقدرته على حكاية معناه من مخارج وصفات حروفه، وبهذه الطريقة يؤدي دورا فعالا في تحقيق الغرض من الكلام عن طريق تهيئة النفس وإثارة الخيال، واستحضار صورة الانكباب على وجوههم في النار، وفي بنائه للمجهول ونطق حروفه ثِقل على اللسان، يتناسب مع ثقل الصورة والمشهد على نفوس المشركين، والفعل على وزن (فعلل) الدال على التكرار، وكأنك تراهم كلما قاموا كبوا على وجوههم مرةً أخرى، والفعل لم يغن غيره مكانه مثل: (قذف –كبَّ – ألقى– أدخل)؛ لأن (كبوا) فقط تشير بجرسها إلى أنهم يكبون كبا

(1) إبراهيم، كمال عبد العزيز، بلاغة الفرائد الفذة في القرآن الكريم، ص45- 65.

(2) سورة الشعراء، آية رقم:(94).

(3) الأصفهاني.(1412هـ).**المفردات في غريب القرآن**.(مرجع سابق).ص695.

عنيفا غليظا، فما بالك بتكرار المقطع وهذا يؤدي إلى تكرار الدفع، كما تدل على الحركة المضطربة وهم يدفعون وكأن بعضهم يدخل في بعض، وحاجة المقام هي التي اقتضت التعبيرب (كبكبوا) دون (كبوا)، وبالنظر إلى نفس حروف الفعل نجده قد كرر في موطن آخر، إلا أنه هنا ناسبه هذه الصيغة الصرفية؛ لاعتبارات سياقية خاصة، ويظهر هذا في قوله تعالي في سورة النمل: ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾[1]، " فترى التعبير هنا عن السقوط في النار بقوله: (كبت)، وهناك بـ (كبكبوا)، وكل ملائم لغرضه موافق لسياقه؛ فحيث تعدددت أصناف الكفار وكثر عددهم ليشمل الغاوين والذين أضلوهم ثم جنود إبليس أجمعون ناسبهم التعبيرب "كبكبوا"؛ ليكون أبلغ في الدلالة على حشرهم جميعا على هذه الصفة القوية العنيفة المناسبة لعتوهم وكثرتهم؛ وحيث لم يذكر تلك الأصناف في سورة النمل اكتفى بقوله "كبت" على أن السياق يحرص على إبراز إهانتهم بطريقة معينة، وهي إسناد الكب لأشرف جزء في الإنسان وهو الوجه، وفي الشعراء لم يرد للوجه ذكر؛ لأن المقصود الأوضح فيها هو إبراز دفعهم دفعا قويا متكررا عنيفا يجعلهم مضطربين متداخلين مذعورين"[2].

2- **(فَتَبَسَّمَ):** ورد في قوله تعالى: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا ﴾[3]. والآية فيما خص به سيدنا سليمان من علم بمنطق الطير، وسماعه لتحذير النملة لصويحباتها.

ويقول ابن فارس: "الباء والسين والميم أصل واحد: وهوإبداء مقدم الفم لمسرة وهو دون الضحك يقال: تبسم ويَبْسِمُ وتبسَّم وابتسم"[4] والتبسم: "دون الضحك، وقيل هو أقل

(1) سورة النمل، آية رقم: (90).

(2) شادي، محمد إبراهيم.(1988م).**البلاغة الصوتية في القرآن**.القاهرة: دار الرسالة.ص33.

(3) سورة النمل، آية رقم:(19).

(4) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.(مرجع سابق).ص253.

الضحك وأحسنه، وقيل: هو الضحك من غير صوت"[1]. والآية لبيان عجب سليمان– عليه السلام – من صنيع النملة حين نبهت أقرانها من خشية الهلاك، ومن خلال الفعل في هذه الآية الكريمة يتجلى الضحك في معاملة غير العاقل معاملة العاقل، وهذا من تمام قدرة الله في تعليم سيدنا سليمان منطق الطير، والتعبير بلفظ (تبسم) فيه لطف ولياقة وجلال وهيبة، وهذا يناسب حال الأنبياء؛ لأنه كان ضحكهم تبسما، وأكد التبسم بقوله: (ضاحكًا)؛ إذ "قد يكون التبسم من غير ضحك ولا رضا..."[2]، والتبسم لا يسمع ولكن يرى فأردف بالضحك لأنه يسمع فكأنه أراد إعلام النملة بإعجابه من قولها، وعبّر بهذه الصيغة لأنها أبلغ من قوله: "ابتسم"؛ لأن ابتسم تحتمل أن يكون تبسم لشيء تذكره بنفسه، ومن دقة التعبير القرآني أنه لم يقل: (ضحك من قولها)؛ لأن هذا القول يحمل محمل السخرية والاستهزاء، وهذا ما لايمكن، ولكن إرداف الضحك للتبسم ليصرف السامع أو القارىء عن كون التبسم للتقليل أو التحقير، وحاشا للنبي أن يكون ذاك. ونلحظ في الأسلوب عملية التدرج والترقي، حين بدأ بالتبسم وانتهى بالضحك.

3- (أَتْقَنَ): ورد في قوله تعالى: ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾[3]. والآية في الحديث عن خلق الله وبديع صنعه. وأتقن الشيء: "أحكَمَه، وأتى به على أتم صورة"[4]. وأصل الفعل:(تقن)، وجاءت هذه الآية وكأنها جواب لمن سأل كيف تمر هذه الجبال وهي ثابتة، فكان الرد "صنع الله الذي أتقن كل شيء"، والسياق يتحدث عن الصنع، والصنع عمل، والعمل إن كان من خبير ومقتدر وعالم يوصف بالإتقان، ولهذا تفرد هذا الفعل هنا في هذا المقام، فلا يفي بالغرض لو قال: (صنع– أبدع – خلق)؛ لأن المقام مقام بناء وإيجاد

(1) الرازي.(1910م).**مختار الصحاح**.(مرجع سابق).ج5.ص1872.

(2) القرطبي،محمد بن أحمد.(1964م).**الجامع لأحكام القرآن**.أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش(محققان). القاهرة: دارالكتب المصرية، ط2، ج7. ص5056.

(3) سورة النمل، آية رقم: (88).

(4) البسومي.(2001م). **معجم الفرائد القرآنية**.(مرجع سابق). ص8.

وحركة، وبالتالي لابد من صانع يتصف بالخبرة، وصنع يتصف بالجودة، وهذا ما توفر في هذه الآية، ليتم السياق وتكتمل الصورة، وإضافةً إلى ذلك فإن السياق يتحدث عن الصنع، والشيء المصنوع إذا كان دقيقًا ومحكمًا وخاليًا من العيوب والنقائص نقول: متقن، وبما أن الله يتحدث عن الصنع والصناعة فناسب أن يتكلم عن الإتقان؛ لأن الأمر يتعلق بأمور يترتب بعضها على بعض وهذه الأمور تستحق الإتقان والدقة المتناهية والحكمة المطلقة وخاصة إذا كانت المخلوقات أجساما عظاما، إن اختل توازنها أو لم يكن هناك إتقان لفقدت الاتزان وتضاربت وتداخلت، ولَمَا وجدنا هذا النظام البديع المحكم، "فلا فلتة ولا مصادفة ولا ثغرة ولا نقص ولا تفاوت ولا نسيان"[1]، والسنة تتعاضد دائما مع القرآن، فيقول النبي- صلى الله عليه وسلم -: "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه"[2]، أي: يؤديه على أحسن وجه ممكن. وهذا يؤكد أن الصنع مرتبط بالإتقان ليس غيره.

4- **(وَكَزَ)**: ورد في قوله تعالى: ﴿ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ ﴾[3]. والآية في الحديث عن سيدنا موسى-عليه السلام- وقصة قتله قبطيًّا مصريًا خطأً. وفي معنى (وكز) يقول ابن فارس: "الواو والكاف والزاي بناء صحيح يقال وكزه: طعنه، ووكزه ضربه بجمع كفه، ووكزه دفعه وقيل:ضربه بجمع كفه على ذقنه"[4]. ولتأكيد اتساق الفعل مع المقام الذي ورد فيه؛ نرى أنه لم يكن قصد سيدنا موسى القتل وإلا لقال: (فقتله)، ولكنه فقط أراد فض الاشتباك والشجار؛ ولأن الذي من شيعته في حال

(1) قطب،سيد.**في ظلال القرآن**.(مرجع سابق). ج5.ص2669.

(2) رواه:أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى.(1984م).**مسند أبي يعلى**.حسين سليم(محقق).دمشق: دار المأمون للتراث. ج7.ص349، والطبراني،سليمان بن أحمد.(1415هـ). **المعجم الأوسط**. طارق بن عوض الله(محقق).القاهرة: دار الحرمين. ج1.ص265، والبيهقي،أحمد بن الحسين.(1410هـ). **شعب الإيمان**.ت: محمد السعيد (محقق). بيروت: دار الكتب العلمية. ج4.ص334.

(3) سورة القصص، آية رقم: (15).

(4) ابن منظور.(2000م).**لسان العرب**. (مرجع سابق). ج15.ص383، 384.

هزيمة حقيقية وحتمية ودلَّ على ذلك بقوله: (فاستغاثه)، وبالتالي حاول سيدنا موسى فقط إضعاف الذي من عدوه ليتسنى للثاني التخلص وقلب موازين المعادلة وتغيير الموقف لصالح الذي من شيعته. ولا يغني لو قال: (فضربه)؛ لأن الوكز نوع من أنواع الضرب، فأراد أن يظهر هذا ليؤكد به أنه لم يقصد القتل قط، والفاء في وكزه دليل على سرعة الاستجابة للاستغاثة، وهذا ليس سلوكا جديدًا على سيدنا موسى، فهو الذي سقى للبنتين من قبل بدون طلب، فهو- عليه السلام - سريع الاستجابة لدواعي الخير، والفعل يدل على قوة سيدنا موسى البدنية؛ لأنه بضربة بسيطة أودى به مباشرةً، وهذا بدوره يؤكد أن الله أعطى الأنبياء قدرة خاصة لتؤهلهم للدفاع عن أنفسهم.

5- **(سَلَقُوكُم):** ورد في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾[1] والآية في توبيخ المنافقين الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر.

والسلق: "شدة القول باللسان والمخاطبة بما يكره، ومعناه: عضّوكم يقول: آذوكم بالكلام بألسنة سليطة ذربة، وبالغوا فيكم بالكلام وخاصموكم في الغنيمة أشد مخاصمة وأبلغها"[2]، والسلق فيه معنى الضرب والطعن. والفعل (سلقوكم) فيه استعارة معنى السلق الذي فيه التقليب والغليان والتفتيت ليظهر مدى التجريح والتأنيب واللوم من المنافقين لجماعة المسلمين، وأداة هذا التجريح هي الألسنة الحداد أي: الجارحة المؤذية وهي كناية عن الخشونة والغلظة في الكلام، ووصفها ب (الحداد) إمعانا في ذمهم وإظهار سلاطتها مما ينبيء عن خبث أخلاقهم، وصوت السلق فيه معاني الغليان والفوران والتقليب وهذا مافعله المنافقون بالمسلمين، وشأن من يُخاض فيه ويُتكلَّم عنه كشأن الشيء المسلوق في الإناء الذي يغلي ويفور ويثور ويضطرب؛ لأن الله يريد أن يوضح مدى تضرر المسلمين من إيذاء المنافقين؛ لذا لم يناسب هذا المقام إلا هذا الفعل، ولا يغني غيره مثل: (اتهموكم- جرَّحوكم

(1) سورة الأحزاب، آية رقم:(19).

(2) الزبيدي.(1994م). **تاج العروس.**(مرجع سابق). ج13. ص218(س ل ق).

– نالوا منكم – قذفوكم)؛ لأنها كلها تدل على معانٍ لا تصل إلى هذا الإيلام الذي أفاده قوله: (سلقوكم)، والآية فيها مجاز مرسل علاقته الآلية أو الجزئية، فأراد الكلام والتقريع وذكر آلته وهي الألسنة، وهي الآن "ذربة قاطعة فصيحة بعد أن كانت عند الخوف في غاية اللجلجة لا تقدر على الحركة من قلة الريق وييس الشفاه، وهذا لطلب العرض الفاني من الغنيمة أو غيرها"[1] فإذا ذهب الخوف ظهر منهم الآتي: "خرجوا من الجحور، وارتفعت أصواتهم بعد الارتعاش، وانتفخت أوداجهم بالعظمة، ونفشوا بعد الانزواء، وادعوا في غير حياء ما شاء لهم الادعاء، من البلاء في القتال والفضل في الأعمال، والشجاعة والاستبسال..[2].

6-(**لَمَسَخْنَاهُمْ**): ورد في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ ﴾[3]. والآية في بيان من الله أنه لو شاء إهلاك الكافرين في الدنيا وتحويلهم إلى جمادات لا تتحرك لفعل بهم. والمسخ: تحويل إلى صورة قبيحة، أو إلى ما هو أقبح منها يقال: مسخه الله قردًا، ويقول ابن فارس: "الميم والسين والخاء: كلمتان إحداها المسخ وهو يدل على تشويه وقلة طعم الشيء، ومسخه الله: شوه خلقه من صورة حسنة إلى صورة قبيحة"[4]، والفعل جاء مؤكدًا باللام، وهذه اللام تدخل على جواب (لو) في الأفعال التي لا يتخيل وقوعها؛ لإزالة ما قد يتصوره العقل البشري من صعوبة تحقيق هذا الأمر، وسيقت لإزالة الشك ولتقوية الأمر، والفعل مسخ يوحي بالعقوبة الشديدة؛ للاتعاظ والاعتبار بأسلوب التهديد والوعيد، ونسبه للذات العلية إمعانا في إثبات القدرة على ذلك، وعبر عنهم بالضمير "هم" تقليلا من شأنهم لعلة كفرهم، والفعل لم يغن غيره هنا مثل: (نسخ –

(1) البقاعي.(1415هـ). **نظم الدرر**.(مرجع سابق). ج6. ص87.
(2) قطب.(1402). **في ظلال القرآن**.(مرجع سابق). ج5. ص2840.
(3) سورة يس، آية رقم: (67).
(4) ابن منظور. (2000م). **لسان العرب**.(مرجع سابق). ج13. ص102.

مسح – حوّل – غيَّر)، وكلها تفي بمعنى تغيير الهيئة والصورة أو صورة طبق الأصل، ولكن ليس إلى الأسوأ، فالنسخ قد يصل إلى صورة أحسن من التي عليها أو قريبة منها، أما المسخ فالتغيير إلى صورة أشنع وأسوأ مصحوبا باللعنة والسخرية مع عدم الحركة؛ ولذا أردف بعدها (عَلَى مَكَانَتِهِمْ) وهو جدير ومناسب للجماد؛ إذ إنه لا يتقدم ولا يتأخر، وفيه إلحاقهم بصفة البهيمية، فإن البهائم لا تعقل موضعا تقصده، فلاتقبل ولا تدبر، وفي قوله "فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون" فقدم المضي على الرجوع؛ لأن فيه نوع من العذاب؛ لأن المضي يجهلونه والرجوع يعرفونه، فتعذر عليهم المضي بأنفسهم، والرجوع منعهم الله منه، ونلحظ أن هذا المقام تكرر مثله في القرآن، وهذا في سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ** ﴾[1]، فلو دققنا سنجد أن السياق استعمل الفعل: (جعل)؛ لأن هذا قد تم بالفعل، فلا داع لتهديد أو وعيد وغيره، أما هنا فقد استعمل اللفظ (مسخ) لأنه يحمل في طياته تهديد ووعيد وقوة وإرهاب، فلا بد أن يأتي على أبشع صورة ممكنة ليرتدع السامع أو القاريء؛ لذا كان أنسب هنا للسياق، ولم يغن غيره مكانه.

7- **(تَلَّهُ):** ورد في قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ** ﴾[2]، والآية في موقف الذبح بتفاصيله. وتلّه: "أي: صرعه على جانب بحيث يباشر جبينه الأرض، والجبين أحد جانبي الجبهة"[3]. وأصل التل: "الرمي على التل وهو التراب المجتمع"[4]، وبالتالي عبر القرآن

---

(1) سورة المائدة، آية رقم: (60).

(2) سورة الصافات، آية رقم:(103).

(3) البسومي.(2001م). **معجم الفرائد القرآنية**. (مرجع سابق). ص8.

(4) الآلوسي،محمود بن عبدالله. (1415هـ). **روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني**.علي عبد الباري عطية (محقق) . بيروت: دار الكتب العلمية. ج12. ص124.

بهذا الفعل لأنه مشتق من اسم المكان الذي وضع عليه جبين اسماعيل الذبيح، فلا يغني لو قال: (أكفأه- ألقاه - قلبه - صرعه — وضعه)، وكل هذه الأفعال تؤدي نفس النتيجة، ولكن (تل) تؤدي إلى تأكيد مكان الذبح، وفيه إشارة أنه مرتفع، فهو إذن مناسب حركةً وفعلا ومكانا. وقال: (للجبين)، ولم يقل (على الجبين)؛ لزيادة التمكن منه، وإمعانا في تنفيذ الأمر كما يجب أن يكون، و" فيه سرعة استجابة ورضا ومطاوعة من إسماعيل"[1]، وعبر ربنا بالهاء في الفعل، ولم يقل مثلا: (وتل ابنه أو إسماعيل)، حتى لا يثير الشفقة في نفسه ويضعف عن إتمام أوامر ربه عند سماع هذه الكلمة، فهو ابنه الوحيد وجاءه على كِبر، وبعد انتظار طويل، وحذف جواب (لما)؛ إيماءً إلى شدة المصيبة ومرارة الواقعة. والمشهد كله يُثبت "نبل الطاعة، وعظمة الإيمان، وطمأنينة الرضى، ووراء كل ما تعارف عليه بنو الإنسان"[2].

8- **(أَبَقَ):** ورد في قوله تعالى:﴿ **إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ** ﴾[3]. والآية في حكاية سيدنا يونس-عليه السلام- مع قومه، وخروجه من قومه. و"أبق العبد يأبِق ويأبُق: هرب، والإباق: هروب العبيد وذهابهم من غير خوف ولا كد ولا عمل"[4]، وأبق تطلق على العبد الآبق الذي يعصى سيده، وهذا لم يفعله يونس -عليه السلام-، بل خرج بدون إذن ربه فقط؛ ولذا عبر بالفعل هنا لأنه ناسب الحال والمقام، فلم يقل: (خرج - ذهب - فرَّ- هرب)؛ لأنها جميعا لا تفي بالغرض، وهو تشبيه حاله بحال العبد العاصي الهارب من سيده، وإن كان الأمر ليس كذلك؛ لذا حسُن إطلاقه عليه بطريق المجاز، تصويرا لغرابة ما فعل؛ فإنه عبد الله فكيف يفر بغير الإذن وإلى أين يفر والله محيط به و"قد صح أنه لا يقبل فرض الآبق

(1) البقاعي (1415هـ). **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**.(مرجع سابق). ج6.ص328.
(2) قطب. (1402هـ). **في ظلال القرآن**.(مرجع سابق). ج5. ص2995.
(3) سورة الصافات، آية رقم:(140).
(4) الأصفهاني. (1412هـ). **المفردات في غريب القرآن**. (مرجع سابق). ص847.

ولا نفله حتى يرجع، فإذا كان الأدنى مأخوذًا بزلةٍ فكيف الأعلى"[1]، وعبَّر عن هروبه بالإباق من "حيث إنه فرَّ من غير إذن مولاه، فهذه حقيقة الإباق"[2]، ولأن المقام مقام اختصار، ولا يحتاج إلى سرد القصة كاملة؛ لذا سلَّط الضوء على أهم حدث في القصة والمطلوب الاستفادة منه، وهذا من باب الإيجاز بالقصر، والآية تنطوي على أبدع فنون القصة بالمفهوم الحديث، من تسليط العدسة على المشهد الرئيس في القصة دون سرد لتفاصيل ثانوية، لا تخدم الهدف منها. والفعل يحمل ملمحًا بلاغيًّا وهو الاستعارة التصريحية؛ حيث شبه خروج سيدنا يونس بغير إذن ربه بإباق العبد، وفيها إظهار للحالة النفسية التي كان فيها، وحقيقة الأمر" أن يونس لم يعص ربه في الخروج، ولا كان هناك نهي من ربه عن الخروج، ولكن خروجه كان ممثلا لإباق العبد من خدمة مولاه فأخذه الله بذلك"[3]، وكان الأليق به كنبيٍّ الاستئذان.

9- **(فَسَاهَمَ):** ورد في قوله تعالى: ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴾[4]. وسياقها في تفاصل ما حدث لسيدنا يونس–عليه السلام– في السفينة.

والسَّهْمُ: "الحظ والنصيب، وواحد النبل، والجمع سهام، وساهم في الآية:اشترك في القرعة"[5]. والفعل نتيجة طبيعية لما ذُكِر من حال السفينة بوصفها بـ (المشحون)، وكأنه دلالة إلى ما سيحدث لاحقا، وساهم أي اشترك معهم في القرعة، ولم يقل ربنا: (فاستهم)، وكأنه له رغبة في ذلك، وفعلها عن قصد. ويكون فيها إقبال من الناس. أما (ساهم) فكأنه دُفِع إلى المقارعة دون رغبة في ذلك، ولم يقل ربنا: (فأقرع)؛ لأن الفعل يدل على أنه هو

(1) حقي،إسماعيل. (1287هـ). **روح البيان في تفسير القرآن**. القاهرة: مطبعة العامرة. ج12. ص69.

(2) الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف. (د.ت). **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**. بيروت: مؤسسة الأعلمي. ص2900.

(3) الطباطبائي،السيد.(د.ت). **الميزان في تفسير القرآن**.بيروت: مؤسسة الأعلمي. ص436.

(4) سورة الصافات، آية رقم: (141).

(5) البسومي. (2001م). **معجم الفرائد القرآنية**. (مرجع سابق). ص28.

الذي يقوم بالقرعة وليس طرفًا فيها، وهذا عكس الواقع، ولم يذكر مثل هذا السياق في القرآن، وبالتالي تفرّد سياقًا وشكلًا، والفاء للدلالة على السرعة، لأن الموقف لا يحتمل تأجيل فالسفينة مشرفة على الغرق، والفعل يعبر عن الحالة النفسية لسيدنا يونس؛ لأنه أعلم بحاله من غيره، وكأنه يعرف النتيجة مسبقًا.

10- **(صَكَّ):** ورد في قوله تعالى: ﴿ **فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا** ﴾(1).

والآية في زيارة الملائكة لسيدنا إبراهيم – عليه السلام – في بيته، وبشارته بغلام حليم وعليم.

والصك: " لطم الوجه بأطراف الأصابع"(2)، والمفسرون يذكرون أن الآية في قصة إبراهيم – عليه السلام – حينما بشر بولد، فسمعت السيدة سارة ذلك، فضربت وجهها ولطمته على عادة الناس وخاصة النساء حتى في زماننا هذا، حينما يسمعن أمرا غريبا يتعجبن منه ويضربن بأكفهن على جباههن، وللتدليل على ذلك أن هذا الفعل لم يُسند للرجال في القرآن قط، والخبر بشارة وبشرى؛ لذا ناسب أن يكون صك فقط ضربًا خفيفًا مع صوت قليل عكس ما لو إذا قال ضربت أو لطمت فهو يناسب المصيبة والمقام، والمتأمل في الفعل يجد له وقعا في الأذن، وكأنك تسمع صوت الضرب أو صوت اللطم من صرير الصاد وهو صوت صفير، وكأنك تسمع وقع يدها على وجهها، فإذا حلّلنا الفعل (صكّتْ) تحليلا صوتيًّا مع ما لحقه من تاء دالّة على التأنيث، وجدناه يجمع بين الشدّة والتفخيم؛ إذ "الصاد من أصوات الإطباق، والمطبق مفخّم"(3)، ونلحظ أيضا أن "الكاف والتاء صوتان شديدان، وزاد من شدّة الكاف تضعيفها. وبهذا أدّت هذه اللفظة بهذه الأصوات صورة اللطمة من جانبها الصوتي الإيحائي، فضلا عن جانبها اللغوي، الدال على الضرب

(1) سورة الذاريات، آية رقم:(29).

(2) البسومي. (2001م). **معجم الفرائد القرآنية**. (مرجع سابق). ص31.

(3) أنيس،إبراهيم. (د.ت). **الأصوات العربية**. مصر: مكتبة نهضة مصر. ص75.

الشديد"[1]. وبذلك ضاعف الإيحاء الصوتي للصك من دلالته على الضرب المتتالي، وهذا يوحي بقوة إنكارها وتعاظم الصورة لها، استبعادا لِأَن تلد ولدا، وكان من الممكن أن يعبّر القرآن بطريق مباشر بأن يقول: (وقالت في تعجب واستبعاد أنا عجوز عقيم)، ولكنه عدل عن ذلك إلى الفعل المذكور لدلالته التي أُشِيرَ إليها.

11- **(أَكْدَى)**: ورد في قوله تعالى: ﴿ **وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ** ﴾[2]. والآية في توبيخ بعض المشركين الأغنياء وإعراضه عن الحق. والكُدْية: الأرض الصُلبة، وأكدى أي قلّ عطاؤه وبخل، والكاف والدال والحرف المعتل: أصل صحيح يدل على الصلابة في الشيء ثم يقاس عليه، فالكُدية: صلابة تكون في الأرض يقال: حفر فأكدى إذا وصل إلى الكُدْية، ثم "يقال للرجل إذا أعطى يسيرا ثم قطع"[3]، وأكدى: "استعملته العرب لمن أعطى فلم يتمّ، ولمن طلب شيئًا فلم يبلغ آخره"[4]، ومنه قول الحطيئة:

فأَعطى قليلا ثم أَكْدَى عطاؤه ... ومن يَبْذُلِ المعروف في الناس يحمد[5]

والفعل متناغم تماما مع السياق والمقام، فعبر به في صورة استعارية تصريحية واقعية، لايغني غيره غناءه من مثل: (بخل- امتنع – قطع – ضنَّ)، فهي لا تعبر عن الحال القائم، بل تعطي معانٍ جزئية، أما أكدى فهي تفيد بأن العطاء قد تم مع قلته ثم قطعه ضنا، و"الفعل سيق مساق الذم، ووصف عطاؤه بأنه قليل توطئة لذمه بأنه مع قلة ما أعطاه قد شح به فقطعه منه، فحصل التعجيب من حال الوليد كله تحقيرًا لعقله وأَفَنِ رأيه"[6]، والفعل

(1) الزيدي، ياسر قاصد. (2012/5/9م). **الإيحاء الصوتي في تعبير القرآن الكريم**. انظر موقع: vb.tafsir.net/tafsir4819

(2) سورة النجم، آية رقم: (34).

(3) ابن فارس. (1991م). **مقاييس اللغة**. (مرجع سابق). ج9. ص166، 167.

(4) الشوكاني، محمد بن علي. (1415هـ/1994م). **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**. عبد الرحمن عميرة (محقق). مصر: دار الوفاء. ج7. ص78.

(5) الحطيئة، جرول بن أوس. (1407هـ/ 1987م). **ديوان الحطيئة**. نعمان محمد أمين (محقق). القاهرة: مكتبة الخانجي. ص179.

(6) ابن عاشور، محمد بن الطاهر. (2000م). **التحرير والتنوير**. بيروت: مؤسسة التاريخ العربي. ج27. ص130.

جاء متناسقا مع الإيقاع والفاصلة.

12- **(بُسَّتِ):** ورد في قوله تعالى: ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴾[1]. والآية في: الحديث عن أهوال يوم القيامة من تفتيت للجبال وغيرها.

وبست أي: "فتّتت، من قولهم: بَسَسْتُ الحنطة والسويق بالماء: فتتّه به، وهي بَسِيسَةٌ، وقيل: معناه: سقت سوقا سريعا، من قولهم: انْبَسَّتِ الحيّات: انسابت انسيابا سريعا، وبَسَسْتُ الإبلَ: زجرتها عند السوق، وأَبْسَسْتُ بها عند الحلب، أي: رقّقت لها كلاما تسكن إليه، وناقة بَسُوس: لا تدرّ إلا على الإِبْسَاس، وفي الحديث: «جاء أهل اليمن يَبُسُّونَ عيالهم»[2] أي: كانوا يسوقونهم"[3]. وقد قيل في تفسيرها: " أي فُتّت فتًّا... وقيل معناه كسرت كسرًا... وقيل قلعت من أصلها... وقيل سُيّرت عن وجه الأرض تسييرا... وقيل بسطت بسطا كالرمل والتراب... وقيل جعلت كثيبا مهيلا بعد أن كانت شامخة طويلة "[4]. وما يدرينا، فلعل هذه المعاني كلها أو جُلُّها ملحوظة فيها، أو مرادة منها بدليل قوله تعالى في سورة طه: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴾[5]. و صورة (البسّ) تعتمد على جرس الألفاظ و تضيف مناخًا جديدًا زيادةً على ما أضافته هذه الصورة التي في(طه)، وتعبِّر تعبيرا آخر عن عملية الإزالة التامة حتى تتساوى مع الأرض المعتدلة المستقيمة، مرتكزة على صوت احتكاكي من أصوات الصفير وهو السين وتبدو فيه حركة الجبال التي فيها تفتيت وتجزئة وخلط وعجن، وهذا الأمر يساعد على رسم الصورة متقاربا

(1) سورة الواقعة، آية رقم: (5).

(2) الحديث صحيح أخرجه البخاري. انظر: المناوي، زين الدين محمد. (1031هـ). **الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي**. أحمد مجتبى (محقق). ج4. ص90، السيوطي، جلال الدين. (1389هـ/1969م). **وتنوير الحوالك شرح موطأ مالك**. مصر: المكتبة التجارية الكبرى. ج3. ص 85.

(3) الأصفهاني. (1412هـ). **المفردات في غريب القرآن**. (مرجع سابق). ص122.

(4) الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن. (د.ت). **مجمع البيان في تفسير القرآن**. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة. ج9. ص214.

(5) سورة طه، آية رقم: (105).

مع الإفناء التام في عملية استمرار تفتيت الجبال حتى تعود (هباء منبثًا)، وجاء المصدر (بسًا)؛ لتأكيد هذه الصورة، وتفرُد الفعل ظهر من خلال توسطه بين مرحلتين الأولى: رجّ وزلزال واهتزاز، والثانية هباء منتشرا، والطبيعي أن الهباء لا يكون إلا في الذرات والجزيئات الصغيرة، وبالتالي كان لابد من مرحلة التفتيت والتجزئة المتمثلة في (وبست)، وبناء الفعل للمجهول فيه فزع ورعب؛ لأنك ترى الأحداث تتتابع ولا ترى الفاعل وهذا يبعث جوا مليئا بالهلع والذهول.

13- (تحَرَّوا): ورد في قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴾[1]. والآية في الإخبار عن أحوال الجن وأصنافهم. والتحرّي: الاجتهاد وبذل الطاقة في طلب الشيء، تحرّاه: تعمّده، وتحرّوا رشدا:بذلوا جهدهم في طلب الحق والصواب[2]. واختيار صفة تحري الرشد بمعنى بحثوا وطلبوا وابتغوا، واختيار الرشد مناسب لما تردد في السورة من ذكر الرشد وهي أكثر سورة تردد فيها كلمة (الرشد) (يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ) (أَمْ أَرَادَ بِهِم رَبُّهُم رَشَدًا) (قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا). إذن اختيار تحري الرشد هذا مناسب لما ورد في السورة، و قال المبرد: " أصل التحري من قولهم: ذلك أحرى، أي أحق وأقرب، وبالحري أن تفعل كذا، أي يجب عليك"[3].

والفعل فيه إشارة بمدى الجهد الذي وقع من طلب وبحث واختيار وتفتيش وتوخٍ ليدلك على حرصهم الشديد للوصول إلى الطريق الصحيح حيث الرشاد والسداد، والفعل معبر جدا عن مقصود الآية فالتعبير بلفظ «تَحَرَّوْا» يوحي بأن الاهتداء إلى الإسلام معناه الدقة في طلب الرشد، والاهتداء – ضد الغي والضلال – ومعناه: "تحري الصواب واختياره عن معرفة وقصد بعد تبيّن ووضوح. وليس هو خبط عشواء ولا انسياقًا بغير إدراك. ومعناه أنهم وصلوا

(1) سورة الجن، آية رقم:(14).

(2) البسومي. (2001م).**معجم الفرائد القرآنية**. (مرجع سابق).ص14.

(3) الرازي. (1993م).**مفاتيح الغيب**. (مرجع سابق). ج30. ص671.

فعلا إلى الصواب حين اختاروا الإسلام.. وهو معنى دقيق وجميل"[1]، لما كان في مقام الترغيب في الحق، ربط بفعلهم ذلك تسببيا عنه قوله مدحا لهم: (فأولئك) أي: العالو الرتبة، (تحروا) أي: توخوا وقصدوا مجتهدين (رشدا) أي: صوابا عظيما وسدادا، كان–لما عندهم من النقائص– شاردا عنهم فعالجوا أنفسهم حتى ملكوه فجعلوه لهم منزلا، وتحريت الشيء: "قصدت ناحية، فكان لهم ذلك إلى الجنة سببًا، ومن قسط فأولئك ضنوا فنالوا غيا وشططا[2].

14- (أَغْطَشَ): ورد في قوله تعالى: ﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴾[3]. والآية في بيان قدرة الله في خلقه. والغطش: "الظلمة، وإغطاش الليل: إظلامه، جعله مظلما، وأصله من الْأَغْطَشُ، وهو الذي في عينه شبه عمش، ومنه قيل: فلاة غَطْشَى: لا يهتدى فيها، والتَّغَاطُشُ: التّعامي عن الشيء"[4]. والفعل فيه من الدلالة الصوتية التي توحي ببدء الليل عبر عنها حرف الغين وهو حرف حلقي يشير إلى دخول الليل، ثم الطاء وهو حرف إطباق يوحي بتعميم الليل على كل الأنحاء، ثم الشين وهو حرف تفشٍ وانتشار ويوحي بشمول جميع الأجزاء، والكلام عن السماء؛ لذا قال: (وأغطش ليلها) وكأن الأرض منفصلة عنها ولها ليل آخر، بالرغم من أن هناك ليل واحد للسماء والأرض ولا فاصل بينهما، ولكن بدخول الليل في السماء ينعكس هذا على الأرض، وبالتالي يحدث هذا مع النهار، والكلام كان متعلقًا بالسماء، وأمر الليل والنهار متعلق بغروب الشمس وشروقها وهي في السماء؛ لذا عاد الضمير عليها، والفعل لا يغني غيره مثل: (أظلم أو اسودّ) بالرغم من أنهما يشتركان مع (أغطش) في الدلالة اللغوية إلا أنهما يعبران فقط عن السواد الحالك ليس غير، ولكن أغطش تمتاز بدلالة أخرى من وراء اللغة، فالكلمة تعبر عن ظلام انتشر فيه الصمت، وعمَّ

(1) قطب. (1402هـ).**في ظلال القرآن**.(مرجع سابق). ج6. ص3733.

(2) البقاعي. (1415هـ). **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**. (مرجع سابق). ج9. ص192.

(3) سورة النازعات، آية رقم: (29).

(4) الفراء. (1983م). **معاني القرآن**. (مرجع سابق). ج3. ص233.

الركود، وبدت في أنحائه مظاهر الوحشة، وفضلا عن ذلك فإن جرسها الدلالي يصوّر الظلام الساكن الذي أشبه ما يكون بكائن لا حِسّ فيه ولا حراك.

15- (دَحَاها): ورد في قوله تعالى:﴿ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾(1). والآية في استمرار الحديث مع منكري البعث والخلق، والآن مع الأرض وكيفية خلقها.

يقول ابن فارس: "الدال والحاء والواو أصل واحد يدل على بسْطٍ وتمهيد، ودحا الشيء أي: بسطه ومدّه ومهّده.وإذا كانت الأرض دائمًا مبسوطة وممدودة، فهذا يعني أنها بيضوية"(2). وكلمة (دحاها) لو استبدل بها أي كلمة أخرى تفسد الصورة؛ لأنها تعبر تعبير حقيقي عن معاني العِظَم، والبسط والمدّ والتكوير. ودحاها: بسطها ومدها بحيث تصبح صالحة للسكن والسير وقيل (دحاها): جعلها كالدحية (البيضة) وهذه حقيقة توصل إليها علماء الفلك في العصر الحديث وخاصة عند تصوير الأرض من الفضاء الخارجي بواسطة الأقمار الصناعية ولفظة: دحاها – فيما أعلم- هي اللفظة العربية الوحيدة التي تشتمل على البسط والتكوير في الوقت نفسه، فتكون أولى الألفاظ على الأرض المبسوطة في الظاهر المكورة في الحقيقة، وهذا منتهى الإحكام في اختيار اللفظ الدقيق المبين. "إن القرآن الكريم أتاح لنا إدراك عظمة التعبير القرآني وأن نكتشف المعاني الحقيقية لعملية(التكوير)في قوله تعالى: ﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِ ﴾(3)، و(الدحو) في قوله تعالى: (والأرض بعد ذلك دحاها)، أما التعبير بـ: ﴿ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ﴾ فإنَّ (بعد) تفيد الترتيب والتعاقب، وحرف اللام في (ذلك) تفيد البعد، فهو قرينة قاطعة تدل على حقيقة ترتيب أحداث نشأة الكون التي أقرَّها القرآن الكريم وأخبرنا عنها في زمن لم يكن العلم

---

(1) سورة النازعات، آية رقم: (30).

(2) ابن فارس. (1991م). **مقاييس اللغة**. (مرجع سابق) ج2. ص333، وانظر: الأنصاري، أبوزيد. (1981م). **النوادر في اللغة**. محمد عبد القادر (محقق). مصر: دار الشروق. ص564.

(3) سورة الزمر، آية رقم: (5).

يعرفها، وذكرت الأرض هنا مع "الدحو" باعتبارها كوكب، وفي قوله تعالى: (والأرض مددناها)، (والأرض وماطحاها) باعتبارها منطقة، فلا يتعارض هذا مع ذاك، بل كل يتناسب مع المقام وخصوصية السياق، فسبحان من أنزل القرآن!

16- (انْكَدَرَتْ): ورد في قوله تعالى:﴿ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ﴾[1]. وسياق الآية هو أحوال يوم القيامة أهوالها، من إنطفاء للنجوم وتساقطها. وانكدر الشيء: " أسرع وانقضّ، وانكدرت النجوم: تناثرت و تساقطت"[2]. في هذا الفعل صورة من صور تأثير التنوع الصوتي في الفاصلة القرآنية في الدلالة، ففواصل الآيات في هذه السورة متساوية ومنها (انكدرت)؛ إذ كلها تنتهي بالتاء المفتوحة الساكنة، والتاء من حروف الهمس، والهمس يختاره الإنسان في لحظات الانكسار النفسي، والشكوى، والالتماس، والدعاء، وفي حالات الضعف، والهوان، والذل، والانهزام. فالفاصلة إذن لها علاقة قوية بالسورة، فالسورة تصوير حي ليوم القيامة وما فيه من أهوال ومشاهد مروعة مخيفة تبعث على الانكسار والخوف والقلق من المجهول، وهذا ما يجعل الإنسان يخاف وبالتالي يلجأ إلى الدعاء والالتماس، "وقد مثّل الفعل الذي لم يسم فاعله في سياق الآيات دورًا بارزًا في تصوير الحركة المجهولة في طي الزمان، فالمشهد بدأ بفك الكون وتدميره من أعلى إلى أسفل، بالكائنات غير العاقلة: الشمس، النجوم، الجبال، العشار، الوحوش، البحار، ثم الكائنات العاقلة من النفوس والمؤودة، ثم رجوعها مره أخرى إلى الصحف التي تنشر والسماء التي تكشط، وذلك من الكائنات غير العاقلة؛ ليعود المشهد إلى مظاهره أو كائناته العليا كما بدأ، وكأنه مشهد يكور في دائرة انقلاب وانفلات للنظام في سرعة فجائية صارمة مثلها البدء ب:إذا للزمان المفاجيء، ثم تكرارها مع كل حدث مدمر"[3]، وإذا نظرنا إلي هذا المشهد بكائناته وجزئياته، نجد أن

---

(1) سورة التكوير، آية رقم: (2).

(2) الرازي.(1910م). **مختار الصحاح**. (مرجع سابق). ج3. ص804.

(3) موسى،محمدالسيدمحمد. (د.ت). **الإعجاز البلاغي في استخدام الفعل المبني للمجهول**. (د.ن). ص18 ،19.

التعبير بالفعل الذي لم يسم فاعله هو الأسلوب السائر في كل المشهد عدا جزئية واحدة فقط هي صورة انصباب النجوم وتنافرها (وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ) وقد جاء التعبير عن هذا المشهد بالفعل المبني للمعلوم! ولعل السر في ذلك" أن النجوم في مراحل انكدارها تمر بمراحل من الميلاد والشباب والشيخوخة قبل أن تنفجر أو تتكدس على ذاتها فتطمس طمسا كاملا..، والنجوم أفران كونية يتم في داخلها سلاسل من التفاعلات النووية التي تعرف باسم عملية الاندماج النووي"(1)؛ لذا استعمل (انفعل) لما فيه من المطاوعة والاندفاع الذاتي للحدث بدلا من (كُدِرت) التي تشير بأن هناك فاعل خفيّ، "ويتضح أن النجوم تنفرد بخاصية هائلة من طبيعة التكوين والتكون والانتشار والانشطار والانفجار، فلها طبيعتها الكونية التي لا تماثلها طبيعة كونية أخرى فيما عرف من الوجود، وقد أثبت العلم حديثًا أن النجوم علي انتشارها الهائل في السماء تشتمل علي درجة حرارة عالية بدرجة مذهلة، وتنقسم تبعا لذلك إلى نجوم حمراء أقلها حرارة 3200 درجة مطلقة، ونجوم برتقالية، و نجوم صفراء، ونجوم بيضاء مائلة إلي الزرقة، ونجوم زرقاء أشدها حرارة 300 ألف درجة مطلقة، و الشمس من النجوم الصفراء متوسطة الحرارة؛ إذ تبلغ درجة حرارة سطحها حوالي ستة آلاف درجة مطلقة "(2). والفعل هنا "ماضٍ معجز من حيث تركيبه في الصيغة القرآنية، فقد يُلغي منه زمنه المتعارف عليه ليدل على أحداث مستقبلية منتظرة، والتعبير به هنا بالماضي عن المستقبل دال على تحقق وقوعه، وهذا من مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وفيه تعظيم للمقام الرباني؛ إذ دل على أنه مطلق غير محدود بالمكان ولا الزمان، كما ناسب حال المخاطبين من تقرير حقيقة عقدية وهي البعث والنشور ومشاهد القيامة، التي هي بمثابة غيب مطلق، لا يمكن للإنسان أن يقف على ما هيته"(3) .

(1) متولي، أحمد مصطفى. (2005م). **النجوم وأحوالها يوم القيامة**.الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية. القاهرة: دار ابن الجوزي. ص106.

(2) السابق، نفسه.

(3) إيكر، خديجة. (2012/4/10م). **دلالة الفعل الماضي على المستقبل**.انظر موقع:

=

17- (كُشِطَت): ورد في قوله تعالى:﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ﴾[1]. والآية في الحديث عما يقع يوم القيامة من كشف السماء وقلْعها وزوالها عما فوقها. يقول ابن فارس: "(كشط) الكاف والشين والطاء كلمةٌ تدلُّ على تنحية الشَّيء وكَشْفه. يقال: كشَطَ الجِلدَ عن الذَّبيحة. ويقولون: انكشَط رُوعُه، أي ذهَب"[2]. ويقال: "كشطت الجُلَّ عن ظهر الفرس والغطاء عن الشيء: إذا كشفته عنه وقلعته ونزعته، و يقال كشطت: نزعت وطويت، وقال الزجاج: " كشطت وقرئت قشطت بالقاف ومعناهما: قُلِعت كما يقلع السقف"[3]. والكشط أبلغ لأنه لا يغني غيره مكانه من مثل الإزالة أو النزع أو السلخ فمعناه أعمق وأقرب للهدف وأقوى للمنزوع، فالكشط أعم من ذلك كله، وكأنه يأتي على كل جزء فيها صغيرا كان أم كبيرًا، ولا يترك شاردة ولا واردة لا يترك شيئا فهو يقتلع من الجذور والأصول ولا يترك خلفه شيئا، ليبقى الأمر مكشوفا تماما وواضحا للعيان، وجليا للرائين، فالكشط هو نزع الشيء برمته كما تنزع إهاب الإبل، وهذا ما ذهب إليه ابن عاشور؛ إذ يقول: "والكشط: إزالة الإهاب عن الحيوان الميّت وهو أعم من السلخ لأن السلخ لا يقال إلا في إزالة إهاب البقر والغنم دون إزالة إهاب الإبل فإنه كشط ولا يقال: سلخ، والظاهر أن المراد إزالة تقع في يوم القيامة لأنها ذكرت في أثناء أحداث يوم القيامة بعد ﴿ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ﴾، وقوله: ﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ﴾"[4]، أما النزع أو الطي أو القلع فدلالتها توحي بعدم تمام الأمر وعدم كمال النزع وربما لا يتم المراد منه كالكشط. وبناء الفعل للمجهول يزيد في طرح أسئلة

=

http://www.atida.org/forums/showthread.php?t=10839

(1) سورة التكوير، آية رقم:(11).

(2) ابن فارس. (1991م). **مقاييس اللغة**. (مرجع سابق). ج5. ص148.

(3) الزبيدي. (1994م). **تاج العروس**. (مرجع سابق). ج10. ص393. وانظر: الزجاج، علي إبراهيم. (1988م). **معاني القرآن وإعرابه** . عبد الجليل شلبي (محقق) . بيروت: عالم الكتب. ج5. ص291.

(4) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.(مرجع سابق).ج16.ص202.

كثيرة عن الكيفية والطريقة، ولعل السياق تركها هكذا إمعانا في إضفاء جو من التخويف والترقب والرعب ليحذر الذين يخالفون أمر الله من ذلك اليوم وبالتالي ينعكس هذا على سلوكياتهم وتتبدل أخلاقهم إلى الأفضل إرضاء لله –سبحانه– لإنقاذهم من أهوال هذا اليوم. وحتى لا يرتبط الإنسان بهذه الثوابت والمشاهد الكونية من بحار وسماء وجبال... وغيرها ساقها الله في مواضع تتبدل فيها وتتغير وتتنهدم ليرتبط الإنسان بحقيقة واحدة علوية وهي الله، و يؤكد سيد قطب هذه المعاني بقوله:" وهذا ما تستهدف السورة إقراره في المشاعر والقلوب كي تنفصل من هذه المظاهر الزائلة مهما بدت لها ثابتة وتتصل بالحقيقة الباقية.. حقيقة الله الذي لا يحول ولا يزول، حين يحول كل شيء من الحوادث ويزول. ولكي تنطلق من إسار المعهود المألوف في هذا الكون المشهود. إلى الحقيقة المطلقة التي لا تتقيد بزمان ولا مكان ولا رؤية ولا حس، ولا مظهر من المظاهر التي تقيدها في ظرف أو إطار محدود!"(1). وَتَذْكُر السماء وكشطها في المرحلة قبل الأخيرة من هذه الأهوال، ثم تأتي بعدها مباشرة الجحيم وحرها والجنة وقربها، وهذا يدلك على الدقة المتناهية والترتيب المنطقي في القرآن حتى على مستوى السياق والألفاظ، وصدق الله إذ يقول: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ (2)، والآية تنطوي على استعارة لتوضيح وتقريب هذه المشاهد المفزعة لنا في عبارات نألفها في حياتنا الدنيا !وأما حقيقة ما يجري فعلمها عند الله؛ وهي أكبر من أن ندركها الآن بمشاعرنا وتصوراتنا المقيدة بمألوف حسِّنا وتفكيرنا، وغاية ما رأيناه أن تتزلزل بنا الأرض أو تموج بنا البحار، أو ينفجر بركان هائل من باطن الأرض. إذن "فالسماء مكشوطة والمكشوط عنه هو عالم الخلود، ويكون ﴿ كُشِطَتْ ﴾ استعارة للإزالة"(3). وعليه فقد تفردت الكلمة في سياقها.

(1) قطب.(1402هـ).**في ظلال القرآن**.(مرجع سابق).ج7.ص468.

(2) سورة الأنعام، آية رقم:(38).

(3) ابن عاشور.((2000م).**التحرير والتنوير**.(مرجع سابق).ج16.ص203.

18- (عَسْعَسَ): ورد في قوله تعالى:﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴾[1]. والآية في الحلف لإثبات صدق الوحي القرآني والنبوة. وعسعس الليل: "إذا أقبل بظلامه، وقيل معناه: إذا أقبل وأدبر"[2]، وعسعس مكون من مقطعين: عس، عس وهو من الأفعال المشتركة في المعني لأن من معانيه:أقبل ظلامه أو أدبر؛ وسيق هنا " لزيادة المعنى قوة، وكأن استمرار الليل في إدباره من خلال استطالة الكلمة؛ إذ لا نجد لاجتماع صوت العين، وهو صوت مجهور ناصع، وصوت السين وهو صوت مهموس يتميز بالهدوء والسكينة، نغما صاعدا وهابطا يوحي باستطالة زمان ذهاب الليل "[3]. وفي الواقع ليس هناك أروع وأبلغ وأجمل من تصوير تسلل الليل في قدومه ثم تسلله في هروبه من قوله تعالى: (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ) يعنى يأتى متلصصًا مثل العسس أو الشرطة السرية التي تأتى تتلصص ثم تعود بنفس الكيفية وهى تتلفت في الذهاب والإياب. وللعلم فإن (عَسْعَسَ)من ألفاظ الأضداد في اللغة العربية، أي تستخدم في وصف الحركة عند القدوم وعند الرجوع، ولذلك يكتمل الإعجاز في فصاحة القرآن الكريم حين نفهم (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ) بتشبيه رائع لحركته في التسلل قادمًا ومغادرًا. ويتأكد أكثر حين نتأمل الآية التالية ونقرأهما معا (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ)، لا يستطيع بشر أن يعبر عن جمال قوله تعالى: (وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ)، ولكن فيما يخص موضوعنا فإن تنفس الصبح يشير إلى أن الليل إذا عسعس تنطبق على بداية الغروب عند القدوم وبداية الهروب عندما يتنفس الصبح ضوءًا يزحف شيئًا فشيئًا مع كل زفير وشهيق للصبح. ولهذه الأسباب كلها تفرد الفعل (عسعس) في أداء المعنى ولم يغن غيره غناءه.

19- (رَانَ): ورد في قوله تعالى: ﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾[4]. والآية

---

(1) سورة التكوير، آية رقم:(17).

(2) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.(مرجع سابق).ج4.ص42.

(3) ياسوف، أحمد،(1994م).**جمالية المفردة القرآنية في كتب الإعجاز**.سوريا: دار المكتبي. ص88.

(4) سورة المطففين، آية رقم:(14).

في الإخبار عن قصة الفجار القائلين بأن القرآن أساطير الأولين. والرين يقول فيه ابن فارس: "الراء والياء والنون أصل يدل على غطاء وستر، فالرين: الغطاء على الشيء، وقد رين عليه كأنه غشي عليه، وران على قلبه كذا أي غلب وغطى، والرين الطبع والدنس، وقيل: سواد القلب من الذنب، والرين الصدأ الذي يعلو السيف والمرآة، والرين كالصدأ الذي يغشى القلب وهو يختلف عن الطبع على القلب والإقفال عليه"(1)، والفعل لا يغني غيره غناءه من مثل: (غُطِّي- غُلِّف- حُجِب)؛ لأن الران يعطي معنى: الأكنّة والغُلاف والحجاب وكل هذه المعاني تستر وتغلف وتحجب وتغطي القلب، والران: " هو أغلظ الحُجُب، وأكثف الحُجُب، وأثقل الحُجُب، هو حجاب على القلب ولكنه ليس بالحجاب الرقيق، وليس كأي حجاب أو حجاب سميك يمنع الرؤية، وإنما هو ثقيل على القلب؛ بحيث أصبحت هذه السيئات قد ملأت القلب وثقلت عليه فأصبح القلب ثقيلا من هذه الذنوب ومن تلك السيئات"(2) . أي غطى القلب بحجاب كثيف ثقيل، فما يستطيع الإيمان أن يصل إلى مثل هذا القلب. فالران هو أكثف الحُجُب وأغلظها كما يقول ابن القيم. كذلك قال النبي – صلى الله عليه وسلم– في حديث الترمذي الذي حسّنه الشيخ الألباني عن أبي هريرة – رضي الله عنه– قال: يقول النبي–صلى الله عليه وسلم–: "إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةً سَودَاءَ فَإِذَا هُو نَزَعَ (أي ترك الذنب واستغفر وتاب) صُقِلَ قَلْبُهُ (أي رجع كما كان وصقل بالبياض)وَإِنْ زَادَ (أي في السيئات) فِي الْقَلْبِ حَتَى تَعْلُوَ قَلْبَهُ قَالَ النَّبِيُّ–صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: وَهُو الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ –تبارك وتعالى–: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾(3)، فعندما قال الله – عز وجل: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا

(1) الفيومي.(د.ت).**المصباح المنير**.(مرجع سابق).ص95.

(2) رشيد، أبو عبد البر.(24صفر/1431هـ).**أثر الذنوب على القلب**.انظر: http://majles.alukah.net/t50677/

(3) حديث حسن صحيح،الترمذي،أبو عيسى محمد.(1397هـ/1977م).**سنن الترمذي.أحمد محمد شاكروآخرون(محققين).مصر: الحلبي.ط2.رقم:(3343).**

﴿ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ وعندما سعوا هم في حجب القلب عن محبة الله، فالله- عز وجل- احتجب عنهم ومنعهم عن الاستمتاع برؤيته بعد أن منعوا قلوبهم من الاستمتاع بمحبة الله – تبارك وتعالى -. وهناك وقفة لطيفة على اللام في بل (كلا بل)، ولعل الحكمة من ذلك هي إشارة من عند الله – تبارك وتعالى- فمن شدة هذه السيئات وهذه الذنوب وهذه النُكَت السوداء التي نُكتت في القلب وهذه العظائم، من شدتها يقف القاريء عند هذه الآية ويقرأ: كلا بلْ (ثم يسكت القارئ سكتة خفيفة ثم يقرأ) رانَ على قلوبهم ما كانوا يكسبون)، فلعل هذه إشارة من عند الله لثقل ما في قلبه من سيئات ومن ذنوب. ومن ذلك كله يتجلى لنا سر تفرد ذلك الفعل لأداء تلك المعاني.

20- (سُطِحَتْ): ورد في قوله تعالى: ﴿ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾[1]. والآية في إثبات قدرة اللّه تعالى على البعث وما بعده والتذكير بأدلة ذلك. وسُطِحَتْ: "أي تبسطت واتسعت، وسطح البيت أعلاه، سَطَحَ الأرض: بسطها"[2]. ولم تختلف كلمة أهل التفسير عن اللغويين، فسَطْح الأرض عندهم: " بَسْطها وتوطئتها بحيث صارت صالحة للمتقلب عليها، ومهادا للسالك فيها"[3]. إن وجه العجب والإعجاز في ذلك الفعل، أن كل شيء مسطح لا بد أن يكون له منتهى.فلو تخيلنا معًا أن الأرض على شكل مربع مثلا.فلابد حينئذ من أن ينتهي الإنسان بالسير على سطحها إلى حافة وانكسار كبير، ولن يجد من بعد ذلك سطحًا ولا امتدادًا ولا شيئًا من هذا القبيل.ولكن لنقف وننظر ونسير في الأرض، فسوف نجدها مسطحة تمامًا، وعلى الرغم من ذلك لن نجد لامتداد سطحها نهاية أبدًا، ذلك هو الأمر العجيب الذي دعا الله الناس أن ينظروا فيه ويتفكروا، فيعلموا أن هنالك خالقًا مبدعًا فيما خلق؛ لذا تفرد الفعل هنا دون غيره؛ لأنه عبّر عن المقصود الأصلي للآية، وعلاوةً على ذلك في بنائه للمجهول وعدم ذكر

(1) سورة الغاشية، آية رقم:(20).

(2) البسومي.(2001م).**معجم الفرائد القرآنية**.(مرجع سابق).ص26.

(3) الزجاج.(1988م).**معاني القرآن وإعرابه**.(مرجع سابق). ج5.ص319.

الفاعل الذى يجحده هؤلاء الكافرون؛ " ليفسح مجال النظر إلى دلائل قدرته التي لم يدّعِها أحد غيره–سبحانه–، فإذا سلّم هؤلاء الجاحدون بما في هذه المخلوقات من حكمة وقدرة وإبداع لا يدعيها أحد غيره –سبحانه –، ولا يصح نسبتها إلى أحد سواه، فقد سلّموا بأنه لا خالق غيره ولا رب سواه"(1) . ومن ثم جاء اختيار البناء للمجهول أى لإفساح المجال للنظر في الأدلة الدالة على الفاعل الصانع ليتوصل إليه المشركون ويقروا به بأنفسهم فيكون هذا الطريق أقوى في إقامة الحجة عليهم من طريق التصريح بالفاعل. ولاشك أن " الإيقاع الناتج عن الفواصل المتحدة في الحرف الأخير وهو التاء في ألفاظ(خُلقت، رُفعت، نُصبت، سُطحت)ساعد في إجاشة القلب وتحريك الوجدان، وساهم في تكوين الحركة الجمالية المشتركة أمام جمال التناسق التصويري لمفردات الكون. كما أن حركة الفاصلة حركة بناء للمجهول، تستدعي كوامن العقل لسبر أغوارها والوقوف على فاعلها، وفك شفرتها، ليصل تلقائيًا إلى أن وراء ذلك كله إله واحد لاشريك له. ولقد ساعد الإيقاع الداخلي الناتج عن تكرار اسم الاستفهام "كيف" الباعث على التساؤل عن الكيفية والحالية، وهو استفهام إعجازي؛ لأن العقل البشري لن يستطيع أن يعلم كيفية الخلق؛ ولكنه يدرك أن الله هو الخالق المتفرد بالوحدانية. والفواصل متساوية في الوزن تقريبا، والآيات ذات إيقاع موسيقى متحد تبعًا لذلك.. والإيقاع هادئ متزن ساكن يتلاءم مع الدعوة إلى التأمل والتدبر"(2) .

21- (جَابُوا): ورد في قوله تعالى: ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾(3). والآية في الحديث عن قصة قوم ثمود، وما وصلوا إليه من العمارة والبناء والتشييد. والجَوْبُ: "قطع

(1) منتدى التوحيد.(2010/8/5).هل تذوقت بلاغة القرآن من قبل. انظر موقع:
http://www.eltwhed.com/vb/showthread.php?34235-%E5%E1-%CA%D0%E6%DE%CA-%C8%E1%C7%DB%C9-%C7%E1%DE%D1%C2%E4-%E3%E4-%DE%C8%E1-%BF

(1) عبد العال،محمد قطب.(نوفمبر 2009 م).الأداء التصويري وإيقاع الفواصل في القرآن الكريم.الهند : مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دارالعلوم ديوبند، ذو القعدة 1430 هـ.العدد: 11. السنة: 33

(3) سورة الفجر، آية رقم:(9).

الجَوْبَة، وهي كالغائط من الأرض، ثم يستعمل في قطع كلّ أرض"[1]، والفعل هنا لا يغني غيره غناءه؛ لأنه عبَّر عن الواقع وما كانوا يفعلونه بدقة متناهية؛ لأنهم لم يكونوا فقط يقطعون ويتركون، بل كانوا يقطعون وينحتون ويزخرفون وينقشون ويرتبون ويصنعون منها بيوتا للسكن وهذا ما يؤديه الفعل "جابوا"، فلا يفي بكل هذه الدلالات السابقة لو قال: "قطعوا"، فيعبِّر فقط عن القطع بدون هدف، من أجل القطع فقط، ومنه جاء الفعل "يجوبون" البلاد لهدف، وكذا "جابوا" فيها معنى القطع والنحت، وفي الآية ومضة تاريخية وعلمية معجزة، لأنه لم يكن أحد من الخلق في زمن الوحي وإلي أواخر القرن العشرين يعلم شيئًا عن قوم ثمود غير ما جاء في القرآن الكريم وفي أحاديث سيد المرسلين –صلي الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين–.

22- **طَحَاهَا:** ورد في قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴾[2]. وسياق الآية في مَعْرِض القسم بآيات الله الكونية، ومنها الأرض واتساعها. يقول ابن فارس: "(طحو) الطاء والحاء والحرف المعتل أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على البسط والمدِّ"[3]. والمعنى أن الله خلق الأرض وبسطها ووطأها ومهدها للسكنى لينتفع الناس بها، وبما على ظهرها من نبات وحيوان وجماد. وبسطها من كل جانب، وهيَّأها للاستقرار، وجعلها مهادا للإنسان. والكلمة هنا لا يغني غيرها مكانها من مثل: (دحاها- بسطها- وسَّعها – مهدها)؛ لأن الدحو ذكر مع الأرض في موضع آخر في سورة النازعات باعتبارها كوكب، وفي قوله:﴿ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴾ باعتبارها منطقة، فلا يتعارض هذا مع ذاك. بل كل يتناسب مع المقام وخصوصية السياق، فسبحان من أنزل القرآن!. والكلمات الأخرى ربما تعطي معنى السعة والبسط ولكن ربما لهذه السعة نهاية وبعدها لا يكون شيء، لذا كان لفظ الطحو أكثر اتساقًا وأنسب للمقام.

(1) الأصفهاني.(1412هـ).**المفردات في غريب القرآن**.(مرجع سابق).ص210.

(2) سورة الشمس، آية رقم:(6).

(3) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.(مرجع سابق).ج3.ص348.

وهناك من العلماء والمفسرين من يقول بأنه ليس ثمت فرق بين الدحو والطحو، ومنهم ابن عاشور؛ إذ يقول: " طَحْوُ الأرض:بسْطها وتوطئتها للسير والجلوس والاضطجاع، يقال: طحا يَطحو ويطحي طحوا وطَحْيا وهو مرادف«دحَا»في سورة النازعات(30)"[1]، وهذا ما ذهب إليه أيضا الرازي؛ إذ يقول نقلا عن الليث: "الطحو كالدحو وهو البسط وإبدال الطاء من الدال جائز والمعنى وسعها قال عطاء والكلبي بسطها على الماء"[2]. وللوقوف على الفرق راجع هذا البحث[3].

وعن سر روعة اتساق ألفاظ القرآن مع المقام الذي ترد فيه، يقول الدكتور:سلامة عبد الهادي "....ثم يأتى إلى قسم تالي.. قسم بالأرض.. هذا الكوكب الذي اختصه الرحمن باحتضان حياة الإنسان عليه.. كوكب لم يتيسر لسواه كل الأسباب والمقومات التي تقيم الحياة عليه... لهذا يأتى قسم الحق بهذه الأرض.. ثم بهذا الاستفسار الإلهى الذي لا نعرف له سببا.. ما طحاها؟.. و الطحو هو الدحو أو الإنتشار والانطلاق في هذا الكون حيث تدور الأرض حول نفسها مرة واحدة كل أربع وعشرون ساعة وحول شمسها مرة كل 365.25 في دائرة يصل مسارها إلى ملايين الكيلومترات دون توقف أو انقطاع.. وكلمة أطاح بالشيء أي أطلقه ومن كلمة طحاها اشتقت آلة الطاحون التي تدور وتدور بانتظام واستقرار.. فتتوزع الأعلاف بالتساوى بين رحاها دون اختلاف.. وهكذا في الأرض في طحاها وانطلاقها ودورانها حول نفسها يتوزع الدفء بين جنباتها ويتماثل ضغط الهواء في غلافها والرياح على أطرافها والمياه والمجالات في جوفها....حتى تستقر الحياة على وجه الأرض بدرجات حرارة و ضغوط واتزان وانسجام والتزام وكمال وجمال...."[4]. وعليه فقد

(1) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.(مرجع سابق).ج16.ص357.

(2) الرازي.(1993م).**مفاتيح الغيب**.(مرجع سابق).ج31.ص174.

(3) راجع هذا البحث.ص61، 62.

(4) محمد،سلامة عبد الهادي.(2009م).**تأملات إيمانية في سورة الشمس**.انظر:com. هدي الإسلامwww ،. تاريخ التصفح.2013/4/20.

اتسق هذا الفعل مقامًا وسياقًا وحالًا.

23- (فَأَلْهَمَهَا): ورد في قوله تعالى:﴿ **فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا** ﴾(1). والآية في القسم بالنفس الإنسانية، والذي خلقها سوية على الفطرة، وعرفها ماهو شر وما هو خير لها. والإلهام: "إلقاء في الروع، وألهمه الله الخير:لقنه إياه، والإلهام: أن يلقي الله في النفس أمرا يبعثه على الفعل أو الترك، وهو نوع من الوحي يخص الله به من يشاء من عباده، وقيل فيه أيضا:إيقاع شيء في القلب يطمئن إليه الصدر يخص الله به بعض أوليائه"(2)، وعبر ربنا بالإلهام؛ لأنه حاصل في النفس البشرية، بل ومن فطرة الله في خلقه، وهذا مطلق عدل الله في الناس أن هيأ فيك الاستعداد للطريقين ولك مطلق الاختيار وحرية التحديد، وهذا ما عبر به ب (ألهم)، وللشخص أن يصدق هذا الإلهام ونوعيته بسلوكه وتوجهاته واختياراته، ولم يغن غيره مكانه، فلا يفي بالغرض لو قال: (خلق- جعل- أوجد- أوحى)، وبالتالي كلها تؤدي معنى التأسيس إذن بأنه لاخيار ولا اختيار للعبد، وسيكون مجبرا على كل ما يؤديه، وبالتالي فلا شرعية للحساب والسؤال، و"لعله قدم الفجور على التقوى للحذر منه وتجنبه، أومراعاة لفواصل الآيات؛ لأن نظم القرآن أحد أوجه إعجازه، أو لأن تقويم السلوك البشري مبنيٌّ على التخلية والتحلية، والتخلية مقدمة على التحلية، أو مراعاة لأحوال المخاطبين بهذه السورة، وهم المشركون، وأكثر أعمالهم فجور لا تقوى"(3).

24- (دَمْدَمَ): ورد في قوله تعالى: ﴿ **فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا** ﴾(4). والآية في تحذير الكفار من العذاب عن طريق التذكرة بقصة

---

(1) سورة الشمس، آية رقم:(8).

(2) ابن منظور.(2000م).**لسان العرب**.(مرجع سابق).ج12.ص246.

(3) الفوزان،محمد صالح.(2011/9/7م).**لماذا قدم الله الفجور على التقوى في قوله تعالى(فألهمها فجورها وتقواها)**.انظر:
http://audio.islamweb.net/AUDIO/index.php?page=FullContent&audioid=214692&full=

(4) الشمس، آية رقم:(14).

ثمود.

والفعل "دمدم"، يقال دمدمت الشيء: "إذا ألزقته بالأرض وطحطحته، ودمدم الله سبحانه عليهم أي أهلكهم، وقيل:معنى دمدم أرجف، وقيل: غضب"[1].

وإيقاع اللفظة إيحائي ذو تأثير صوتي مخيف، فلأنها ذات مقطعين متماثلين هما:(دَمْ/دَمْ)، وجاءا في اللفظة مكررين؛ أشعر جرسهما المدوّي بما يشبه القصف: (دَمْدَمَ). وهذه الدلالة الإضافية صعّدت استشعار الشدّة والغضب في تصوير هذه العقوبة الإلهية العادلة، بمن لم يرع لله حرمته، مصداقًا لقوله تعالى:"إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ"، الذي أُكّدَ بمؤكّدين هما: (إنّ) و(اللام). وقد تلت عقوبتهم قتل الناقة مباشرة بلا فاصل زمني كبير يعتدّ به؛ بدليل عطف تلك العقوبة بالفاء على فعل العقر، في قوله تعالى:(فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا)"[2]. وحقيقة الدمدمة هو تضعيف العذاب وترديده، والدمدمة: إهلاك باستئصال، وقال ابن الأعرابي: "دمدم إذا عذّب عذابا تاما"[3]، وطريقة العذاب هذه بهذا الفعل يؤكد إلى أي حد كان غضب الله عليهم، وقوله: "بذنبهم" تُلّحُ وتؤكد على أن الجزاء دائما من جنس العمل، وعليه فقد تفرد الفعل في هذا السياق.

25- (سَجَى): ورد في قوله تعالى:﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾[4]. والسياق في القسم بآيات الله في الكون على أنه-سبحانه وتعالى- لم يترك نبيه ولم يهجره.

وسجى: "سكن وأظلم وغطى، وقيل:ستر بظلمته، وقيل:سكن ودام، وقال الفراء سجا: " إذا أظلم وركد في طوله كما تقول: بحر ساج وليل ساج إذا ركد وسكن وأظلم"[5].

---

(1) الرازي.(1910م). **مختار الصحاح**.(مرجع سابق). ج5.ص1921، 1922.

(2) الزيدي،قاصد ياسر.(2006/3/5).**الإيحاء الصوتي في تعبير القرآن الكريم**.انظر موقع: http://vb.tafsir.net/tafsir4819/

(3) الشوكاني.(1415هـ/1994م).**فتح القدير**.(مرجع سابق). ج8.ص5.

(4) سورة الضحى، آية رقم:(2).

(5) الفراء.(1983م). **معاني القرآن**.(مرجع سابق). ج3.ص273.

وفي آيات الضحى" نلمح هذا الهدوء وتلك السكينة، البادية في نغمات الرحمة الواسعة، والمنبعثة من التلاؤم والتآلف وإيقاع الفواصل، وسورة الضحى خاصة بالنبي- صلى الله عليه وسلم- وفيها تسلية وإيناس وتطمين. وتنبثق منها نسائم الرحمة، ويشع من الإيقاع الهادئ الناعم لمسات الحنان والرحمة الإلهية. وجاء القسم بالضحى الرائق الصافي، كما جاء بالليل في رقته وسكونه وصفوه بما يشعر بالتواصل بين الكون والذات فتنتفي الوحشة، ويتأكد الأنس والمؤانسة. وتؤكد الآيات على رعاية الله لمحمد -صلى الله عليه وسلم- وادخاره الخير له وغلبته على أعدائه"[1]. والفعل لم يغن غيره هنا غناءه في هذا المقام من مثل" غشى – غسق – يسر- وقب "؛ لأن من معاني سجى: سكن، "وهذا يمثل سكون الوحي وانقطاعه، وهذا هو السكون، والانقطاع ظلمة وهذا المعنى الثاني لسجى، فكلمة سجى جمعت المعاني كلها التي تدل على انقطاع الوحي وسكونه، أما الأفعال الأخرى فتدل على الحركة، وهذا يناقض المعنى للقسم في هذه السورة، وعليه فإن القسم بـ ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ هو أنسب قسم للحالة التي هو فيها من فتور الوحي وانقطاعه وكل قسم في القرآن له علاقة بالمقسم به"[2].

26- (حُصِّلَ): ورد في قوله تعالى: ﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴾[3]. والسياق في الحديث عن يوم القيامة ومشهد النشور والخروج من القبور. والحاصل من كل شيء: "ما بقي وثبت وذهب ما سواه، والتحصيل:إخراج اللب من القشور وجمعه، وحصل ما في الصدور أي جمع"[4]. وبناء الفعل للمجهول، يوحي بإثارة نوع من الغموض والتوقع المختلط بمشاعر من الخوف والتوجس والخيفة للكيفية التي بها سيتم إفشاء وإظهار ما بداخلها،

(1) عبد العال،محمد قطب.(نوفمبر2009م). **الأداء التصويري وإيقاع الفواصل في القرآن.**الهند:مجلة الداعي الشهرية، الصادرة عن دار العلوم ديبوند، ع(11)، س(33)، ذوالقعدة1430هـ .

(2) السامرائي،فاضل صالح.(2010/4/9م).**لمسات بيانية في سورة الضحى**.انظر موقع:www.55.com

(3) سورة العاديات، آية رقم:(10).

(4) البسومي.(2001م).**معجم الفرائد القرآنية**.(مرجع سابق).ص15.

والفعل مناسب لجو الآيات من النبرة العالية، والصوت المرتفع المتمثل في الخيل بصهيلها، والعدو ووقعه والغبار وانتشاره، والحركة السريعة التي تدور معها عينك، "فإذا شُدِّدت الصاد كانت دلالتها الصوتية، وإرادتها المعنوية، أوضح لزوما، وأشد استظهارًا، وأكثر إمعانًا كما في قوله تعالى :(وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ)، فالتحصيل إخراج اللب من القشور، كإخراج الذهب من حجر المعدن، والبر من السنابل، فهو إظهار لما فيها كإظهار اللب من القشر، أو كإظهار الحاصل من الحساب، والصوت في صيغة الإرعاب، وفي سياق الوعيد، قد تلمس فيه نزع ما في القلوب من أسرار، واستخراج ما فيها من خفايا، دون طواعية من أصحابها"[1]. والكلمة لا يغني غيرها غناءها من مثل"نُزِعَ – فُرِّغَ – أُخِذَ)، لأنها ربما تُبْقِي فيها أشياء دون حصر، أما حصَّل فتعطي هذه الدلالات وفوق ذلك الإتيان على كل ما فيها وما تخفيه من صغير وكبير، وتعطي أيضا معنى التعمد والقصد من فعل ذلك لساعة الحساب والعرض، وجاءت (ما) نكرة لتفيد الشمول والعموم، أي تأتي على كل شيء وتجمعه وتحصره وتُعِدّه؛ لذا تفرد الفعل هنا في سياقه.

27- وَقَبَ: ورد في قوله تعالى: ﴿ **وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ** ﴾[2]. والسياق في الحديث عن الأمور التي أمرنا الله أن نتعوذ من شرها ومنها دخول الليل وظلمته.

يقول ابن فارس: "(وقب) الواو والقاف والباء:كلمةٌ تدلُّ على غَيبةِ شيءٍ في مَغَاب. يقال وَقب الشَّيءُ: دخَلَ في وَقْبة،... ووقَبَ الشَّيءُ: نَزَلَ ووَقَع. قال الله تعالى: ﴿ **وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ** ﴾، قالوا: هو اللَّيل إذا نَزَل"[3]. والوقوب: "الدخول في كل شيء، فيقال: وقبت الشمس إذا غابت ودخلت موضعها، ووقب الظلام: دخل على الناس، ووقب القمر: دخل في الظل الذي يكسفه، ويقول الفراء: الغاسق الليل إذا وقب: دخل في كل

(1) الصغير،محمد حسين.(1420هـ).**الصوت اللغوي في القرآن**.بيروت: دار المؤرخ العربي.ص181.

(2) سورة الفلق، آية رقم:(3).

(3) ابن فارس.(1991م).**مقاييس اللغة**.(مرجع سابق).ج6.ص100.

شيء وأظلم، وذهب إلى هذا الزجاج"[1]. ولم يذهب المفسرون بعيدا عن هذا، فقيل: " الغاسق هو الليل إذا دخل، وإنما يتعوذ منه؛ لأن في الليل تخرج السباع واللصوص ويقع الحريق"[2].

واستنادا إلى المعنى الاشتقاقي تبين أن اللفظة: (وقب) لا يغني غيرها غناءها من مثل: (دخل– نزل – أظلم – جاء)؛ لأن وقب تفيد هذه المعاني وفوقها أنها تشي بدخولها في كل شيء وتأتي على كل شيء فهي تشمل كل أجزاء الأرض بل تدخل إلى جميع أركانها وكل جزئياتها مع الإظلام، وبهذا تكون قد انطوت على دلالتين الأولى: الوصول إلى كل بقعة في الأرض، والثانية: الإظلام وكأنه يتلبس الأرض كلها. والكلمة تشي بمعنى التغلغل والانتشار.

وتنكير كلمة غاسق لتفيد الشمول والعموم، و"إضافة الشر إلى غاسق من إضافة الاسم إلى زمانه على معنى (في) كقوله تعالى: ﴿ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾[3]، والليل: تكثر فيه حوادث السوء من اللصوص والسباع والهوام كما تقدم آنفا، وتقييد ذلك بظرف ﴿ إِذَا وَقَبَ ﴾ أي إذا اشتدت ظلمته لأن ذلك وقت يتحيّنه الشطّار وأصحاب الدعارة، لتحقّق غلبَة الغفلة والنوم على الناس فيه،...ومعنى "وقب" دخل وتغلغل في الشيء، ومنه الوَقْبة: اسم النقرة في الصخرة يجتمع فيها الماء، ووقبت الشمس غابت، وخُص بالتعوذ أشد أوقات الليل توقعا لحصول المكروه"[4]. وعليه فقد تفردت الكلمة هنا ولم يغن غيرها مكانها، لأنها دلت على أشد أوقات الليل ظلمة وهي مرحلة الغسق ومعها يُتوقع أن يكون الغدر والشر والخيانة والمضار على أشدها، والتي يعسر دفعها وردها، مع قلة النصرة فيها والإغاثة؛ ولهذا

(1) الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب.(1973م).**بصائرذوي التمييز**.عبد العليم الطحاوي(محقق). القاهرة. (د.ن). ج5.ص246.

(2) الأندلسي،محمد بن يوسف.(1420هـ).**البحر المحيط**.صدقي محمد جميل(محقق).بيروت: دار الفكر.ج10.ص575، 576.

(3) سورة سبأ، آية رقم: (33).

(4) ابن عاشور.(2000م).**التحرير والتنوير**.(مرجع سابق).ج17.ص11.

شرط التعوذ من شرها بدخول هذه المرحلة من الظلمة والعتمة، وعليه طُلِب من المؤمنين التعوذ منها.

الخاتمة

وبعد الوصول إلى نهاية المطاف توصل الباحث إلى جملة من النتائج، وهي:

1- عدد فرائد الفعل الماضي في القرآن الكريم هي تسع وأربعون فريدة، توزعت بين سوره، لم نعرض منها في هذا المقام إلا سبعًا وعشرين فريدة نظرا لضيق المقام والالتزام بمنهجية البحث.

2-بعد هذا الطواف حول الأسرار البلاغية واللغوية للفعل الماضي الفريد في القرآن الكريم، يتضح لنا أن العامل الأهم والأغلب وراء هذا التفرد هو سياق كل فعل أو مقامه الذي يقتضى مجئ هذا الفعل أو ذاك ببنيته الصوتية والصرفية وبالنظم الذي ورد فيه ؛ إذ إنه بهذه الصفة يؤدى من المعاني والتأثير والجمال الفنى مالا يؤديه غيره، وأنه -وللسبب نفسه- لم يتكرر مرة أخري، إما لأن الموقف لم يتكرر وهذا مالاحظناه في معظم الأفعال أو لأن الموقف قد تكرر ولكن السياق أو المقام اختلف في بعض التفاصيل التي كانت سببًا في اختيار فعل آخر كما رأينا.

3- لم نجد عند النقاد والبلاغيين القدامى كلاما صريحا مباشرا عن الفرائد القرآنية، اللهم إلَّا في القليل النادر دون إفراد باب خاص بها، بل جاءت في ثنايا الكلام، ولم تكن هي المقصودة، ولم يتطرق واحد منهم إلى الفرائد بشكل واضح ومباشر كما هو الأمر الآن، بل كان التعرض للقرآن من خلال نظرة كلية شاملة لكل ألفاظه دون التوقف عند جزئيات منه، والمتأمل في قراءة كتبهم يجد دائما فيما يخص ألفاظ القرآن —في حال التعرض لها- أوصاف ثابتة لا تتغير عند أي عالم منهم وهي: الفصاحة والبلاغة والجزالة والغرابة والاقتدار، دون البحث والتعمق في مكامن اللفظة، وأسرار مجيئها على هذا النحو.

4- لم نعثر على أي حديث عن الفرائد عند الدراسات التي تعرضت لبلاغة القرآن الكريم التي تم الوقوف عليها، والنص عليها في هذا البحث.

5- أعترف بأن بعض الأفعال في هذا البحث كانت عَصِيَّة أَبِيَّةً فلم تبح لي بسر تفردها رغم إحساسي الغامض بهذا السر وشوقي العارم لمعرفته، وحينذاك كنت أكتفي بالطواف حول

حصن هذا الفعل المنيع ألتمس بلاغة سياقه ومقامه. لعله في المستقبل يبوح لي أو لغيري من الباحثين بهذا السر، وليعذرني القارئ في ذلك، فحسبي أنني –فيما أعلم– أرود طريقًا غير معهود ومجالًا غير مسبوق.

6- القرآن الكريم كنز أسرار لا ينفد وحين تتفتح للباحث المتأمل كوة النور فإنه يرى عالما من الإيحاءات وظلال المعاني التي تساعده في معرفة الأسرار البلاغية للقرآن الكريم.

7- انصب جُلُّ اهتمام معظم النقاد على الشعر ونقده، وإظهار محاسنه وعيوبه، جيده ورديئه، ومقاييس القوة والضعف....وغيرها كثير من القضايا التي تتمحور حول الشعر، ولم يكن حظ القرآن وبلاغته –إلا القليل– فيها إلا النقل والاستشهاد، والتدليل على صحة ما يقولون من خلال الآيات التي تتناص مع الشاهد الشعري، وذلك يظهر حتى من خلال عناوين كتبهم.

8- جاءت الفرائد عند من تناولها بما نقصده في هذا البحث، جزئية، أومقصورة على بعض الألفاظ دون تقسيم أو تحديد لها وذكرها على سبيل المثال فقط، وإن كان فمن جهة اللغة والغرابة والاقتدار والإعجاز، ولم يشرع أحد في تحليلها بالشكل الذي يأتي عليه هذا البحث اللهم إلا دراسة واحدة ولكنها تناولت المضارع، وهنا تناولنا الماضي.

9- أسهمت الفريدة القرآنية في تبيين جمال الصورة البيانية، فكانت عنصرًا مهما من عناصر الجمال فيه.

10- إن معرفة السياق ودراسة الفريدة من خلاله، وكذا الفرق اللغوي لهما أصدق مقياسين لتحديد تفرد الفريدة.

11- ظهر للباحث أن دلالات الفرائد في القرآن الكريم ارتبطت بالمعنى التفسيري واللغوي إلى حد بعيد، بل إنه في أحايين كثيرة يكون المعنى اللغوي هو نفس معنى الفريدة في الآية.

12- كثرت الفرائد القرآنية بصفة عامة في سياق القصص القرآني، وجاء كثير منها خاص بسلوكيات الكافرين وأفعالهم، وأيضا في الحديث عن اليوم الآخر، وما سيحدث فيه من ثواب وعقاب.

13- لكل لفظ في القرآن قصد محقق، وهدف مقصود في سياقها الخاص بها على وجه الإعجاز والتحدي، ولا سبيل لوقوع لفظة مكان أخرى تترادف معها، أو حتى تتبادل موقعها، وهذا ما يأباه الكلام المعجز؛ لأن كل حرف فيه مقصود لسمة تعبيرية أو معنى محدد.

14- ارتبط عدد ليس باليسير بحقائق علمية وبظواهر كونية حدثت في الماضي أو تحدث بشكل مستمر أو ستحدث مستقبلا ومنها على سبيل المثال: (دحاها - فتقناهما - انكدرت).

15- ظهر للباحث أن علاقة الصوت بالمعنى حقيقة مسلم بها في اللغة، وليست من الخيال أو الافتراض، وأن محاكاة الأصوات لمعاني ألفاظها التي تتشكل فيها هي محاكاة مقصودة، كما هي حال ألفاظ الأصوات التي يحاكي بها الإنسان أصوات الطبيعة، وتكون دلالة هذه الأصوات على مدلولاتها بالطبع لا بالوضع.

التوصيات

وهناك جملة من التوصيات والاقتراحات التي آمل أن تجد آذانًا صاغية، وهي:

1- تأليف كتاب جامع في الإعجاز؛ إذ لا يوجد حتى الآن- حسب علمي- كتاب مصنف جامع لوجوه الإعجاز المتنوعة؛ لذا أقترح على الدارسين والباحثين في الجامعات والمعاهد العلمية التعاون لإخراج مثل هذا المصنف النافع، والجامع لما تفرق في بطون الكتب القديمة والحديثة.

2- الحرص على تقريب معاني القرآن للمسلمين غير الناطقين باللغة العربية:(قراءةً ودراسةً وتعلما)، وتشجيع الباحثين المثاليين وتوفير كافة الإمكانات المتاحة لهم.

3- مراجعة مقررات المواد القرآنية وتوصيف مفرداتها والكتب الرئيسة المنهجية والمساعدة في المؤسسات التعليمية والتعليم العالي في الجامعات، بما يتناسب مع علوم القرآن لإعداد الجيل القرآني الواعد.

4- تقديم أو تطوير مشاريع قرآنية كبيرة، والعمل على التنسيق بين الجهود في نشاطات بحثية مشتركة والتعاون فيما بين الباحثين والجامعات والجمعيات والمراكز البحثية لإنجاز تلك المشاريع العلمية، وكذلك اشتراك أكثر من تخصص معرفي وعلمي في إنجاز بحوث قرآنية جديدة.

5- ضرورة التعرف على مناهج العلماء القدامى والمحدثين في البحث القرآني، والإفادة منها في الدراسات المقارنة، وطرائق البحث في المؤلفات القرآنية القديمة والحديثة وكيفية التعامل معها.

6- بذل المزيد من الجهود العلمية في موضوع الإعجاز القرآني بوجوهه المتعددة والمتجددة وتقديم دراسات حديثة في هذا الموضع وربطها بالتطور والتقدم العلميين.

ثبت المصادر والمراجع

أولًا: القرآن الكريم.

ثانيًا: المراجع:

- إبراهيم، كمال عبد العزيز،(2006م).بلاغة الفرائد الفذة في القرآن الكريم (المضارع نموذجا)، ط1، الدار الثقافية، مصر.

- إبراهيم، كمال عبد العزيز، (2010م)، لغة الجسد في القرآن الكريم دراسة بلاغية، الدار الثقافية، مصر.

- ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله محمد بن عبد الكريم، (1995م).المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المكتبة العصرية، ت/ محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت.

- الأخفش، سعيد بن مسعدة، (1411هـ/1991م). معاني القرآن، ت/هدى محمود قراعة،مكتبة الخانجي، القاهرة.

- الأسد آبادي، القاضي أبو الحسن عبد الجبار، (1380هـ/1960م)، المغني في أبواب التوحيد والعدل، ت/أمين الخولي، مطبعة دار الكتب، القاهرة.

- ابن أبي الأصبع، عبد العظيم بن عبدالواحد، (1983م)، تحرير التحبير، ت/حفنى شرف، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة.

- الأصفهاني، الراغب الحسين بن محمد، (1412هـ).المفردات في غريب القرآن، ت/صفوان عدنان داودي، دار العلم، بيروت.

- الآلوسي، محمود بن عبدالله، (1415هـ) روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، ت: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت.

- الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف،(1403هـ).البحر المحيط، دار الفكر، ط2، بيروت.

- الأنصاري، أبوزيد، (1981م)، النوادر في اللغة، ت/ محمد عبد القادر، دار الشروق، مصر.

- أنيس، إبراهيم، الأصوات العربية، (د.ت)، ط:مكتبة نهضة مصر، القاهرة.
- الآمدي، أبو القاسم، (1992م).الحسن بن بشر، الموازنة بين أبي تمام والبحتري، ت/السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر.
- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب بن جعفر،(د.ت). إعجاز القرآن، ت/ السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة.
- البخاري، محمد بن إسماعيل أبوعبدالله. (1407هـ/1987م). الجامع الصحيح المختصر [صحيح البخاري]، دار ابن كثير، اليمامة ط3،بيروت.
- البسومي، باسل سعيد، (2001م). معجم الفرائد القرآنية، مركز نون للدراسات، رام الله فلسطين.
- بشر، كمال محمد، (1998م). الأصوات العربية، مكتبة الشباب، مصر.
- البغدادي، عبدالقادر بن عمر، (1093هـ). خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ت/عبد السلام هارون، د.م.
- البقاعي، أبي الحسن إبراهيم بن عمر، (1415هـ). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ت/عبد الرازق غالب مهدي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، (1410هـ). شعب الإيمان ت/ محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت.
- الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، (د.ت)الجواهر الحسان في تفسير القرآن، د.م.
- ثعلب، أحمد بن يحى الشيباني، (1966م)، قواعد الشعر، ت/ د.رمضان عبد التواب،الخانجي، القاهرة.
- الجاحظ، عمروبن بحر (ت255هـ)، (1356هـ/ 1938م). البيان والتبيين،تح/ عبد السلام هارون، مط/ مصطفى البابي الحلبي وأولاد، مصر.
- الجرجاني، دلائل الإعجاز، (2004م)، ت/ محمود شاكر، مكتبة الخانجي، ط5، القاهرة.

- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، (1991م). أسرار البلاغة، ت/محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة.

- جعفر، قدامه، نقد الشعر، ت/محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

- حقي، إسماعيل، (1287هـ). روح البيان في تفسير القرآن (تفسير حقي)، مطبعة العامرة.

- الحلي، صف الدين، (1983م). شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، ت: د/نسيب نشاوي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق.

- الحموي، أبو بكر علي بن عبدالله، (1987م). خزانة الأدب وغاية الأرب، دار ومكتبة الهلال، ت/عصام شعيتو، ط1، بيروت.

- الحموي، ياقوت، (1936م)، معجم الأدباء، دار إحياء التراث العربي، مطبوعات دار المأمون، بيروت.

- الخفاجي، عبدالله بن سنان، (1982م). سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت.

- ديوان الحطيئة، (1407هـ/ 1987م)، دار صادر، ت د/نعمان محمد أمين، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة.

- ديوان أبي نواس (الحسن بن هانئ)، (1984م)، ت: أحمد عبد المجيد الغزالى، ط. دار الكتاب العربى، بيروت.

- الذهبي، محمدحسين، (1396هـ).التفسير والمفسرون، ط2، د.م.

- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين،(2004م).مفاتيح الغيب، ت/نصرالله حاجي مفتي أوغلو، دار صادر، بيروت.

- الرماني، الخطابي، الجرجاني (1976م)، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ت/محمد خلف الله، محمدزغلول سلام، دار المعارف، ط3، القاهرة.

- الزبيدي، محمد بن عبد الرزاق، تاج العروس من جواهر القاموس، ت/ علي شيري، دار

الفكر، بيروت، 1994م.

– الزجاج، علي إبراهيم، (1988) م. معاني القرآن وإعرابه، ت/ عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت.

– الزركشي، بدرالدين محمد بن عبدالله بن بهادر، (1376هـ/ 1957م). البرهان في علوم القرآن، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.

– الزمخشري، جار الله أبوالقاسم محمود بن عمر، (1407هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت.

– الزملكاني، عبد الواحد بن عبد الكريم، (1410هـ). المجيد في إعجاز القرآن المجيد، ت: د/شعبان صلاح، الدار الثقافية، القاهرة.

– السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (1420هـ -2000م)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.ت/عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة.

– السكاكي، أبو يعقوب يوسف، (1982م). مفتاح العلوم، ت/ أكرم يوسف، منشورات جامعة بغداد، م: الرسالة، بغداد.

– السيوطي، جلال الدين، (1389 – 1969م). تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

– السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، شرح عقود الجمان، دار الفكر.

– السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن، (د.ت)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، محمد أحمد جاد المولى، ط: الحلبي، مصر.

– السيوطي، (1988م).معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت.

– شادي، محمد إبراهيم، (1988م). البلاغة الصوتية في القرآن، دار الرسالة، القاهرة.

– الشوكاني، محمد بن علي، (1415هـ، 1994م).فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ت/د.عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، مصر.

- الشيخ، عادل، (2004م). مقدمة في علم الأصوات، مطبعة الجامعة العالمية الإسلامية، ماليزيا.
- الصغير، محمد حسين علي، (1420هـ). الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت.
- الطباطبائي، السيد. د.ت. الميزان في تفسير القرآن. مؤسسة الأعلمي.
- ابن طباطبا، محمد بن أحمد، (2005م). عيار الشعر، ت/عباس عبد الستارونعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، ت/ طارق بن عوض الله، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، (1415هـ). دار الحرمين – القاهرة.
- الطبرسي، (د.ت).مجمع البيان في تفسير القرآن، منشورات دار مكتبة الحياة.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، (1984م). التحرير والتنوير، الدار التنوسية، تونس.
- عبد الحميد، محمد محي الدين، (1944م). تحقيق الموازنة بين الطائيين، (د.م).
- أبوعبيدة، معمر بن المثنى، (1981م). مجاز القرآن، ت/ محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- العلوي، يحيي بن حمزة بن علي بن إبراهيم، (1332هـ/ 1914م).الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، م/ المقتطف، مصر.
- ابن فارس، (1991م). مقاييس اللغة، ت/عبدالسلام هارون، دار الجيل، مصر.
- الفرَّاء، أبو زكريا يحيى بن زياد، (1983م). معاني القرآن، دار الكتب، ط3. بيروت.
- الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير، مكتبة لبنان، بيروت، د.ت.
- ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، (1393هـ). تأويل مشكل القرآن، ت/السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، ط2، القاهرة.
- العسكري، الحسن بن عبدالله بن سهل، (1319هـ).الصناعتين، ت/ محمدأمين الخانجي، م الخانجي،مصر.

- القرطبي، محمد بن أحمد، (1964م).الجامع لأحكام القرآن، ت/أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دارالكتب المصرية، ط2، القاهرة.

- القرطاجني، أبو الحسن حازم، (1986م). منهاج البلغاء، وسراج الأدباء، ت/ محمد الحبيب ابن الخوجة، دار العرب الإسلامي، ط3، بيروت.

- القزويني، محمد بن عبد الرحمن، (1904م). التلخيص في وجوه البلاغة، ت/عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي.

- قطب، سيد (1402هـ). في ظلال القرآن، دار الشروق، ط11، مصر.

- القيرواني، ابن رشيق (2004م)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ت/عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، القاهرة.

- الكاتب، ابن وهب (1980م). نقد النثر (البرهان في وجوه البيان)، دار الكتب العلمية، بيروت.

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، (1420هـ/ 1999م). تفسير القرآن العظيم، ت/سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط2، الرياض.

- متولي، أحمد مصطفي (2005م). الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، دار ابن الجوزي، القاهرة.

- المدني، علي صدر الدين بن معصوم (1388هـ). أنوار الربيع في أنواع البديع (مخطوط)، ت/شاكر هادي شكر، م:النعمان، النجف الأشرف.

- مطلوب، أحمد، (1407هـ/ 1987م).معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، م: المجمع العلمي العراقي، بغداد.

- مطلوب، أحمد، (1989م). معجم النقد العربي القديم، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد.

- ابن المعتز، عبدالله محمد، (1983م).البديع، ت/إغناطيوس كراتشقوفسكي، دارالمسيرة، ط3، الكويت.

- ابن منظور، (2000م). لسان العرب، دار صادر، بيروت للطباعة والنشر.
- النابلسي، عبد الغني، (1299هـ). نفحات الأزهار على نسمات الأسحارفي مدح النبي المختار بفن البديع، مطبعة نهج الصواب، دمشق.
- ابن النديم، محمد بن إسحاق، (1398هـ/1978م). الفهرست، دار المعرفة، بيروت.
- ياسوف، أحمد، (1994م).جمالية المفردة القرآنية في كتب الإعجاز، دار المكتبي، ط1، سوريا.
- أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى، (1404 – 1984م).مسند أبي يعلى، ت/ حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة الأولى.